لطائف وأسرار
خصوصيات الرسم العثماني
للمصحف الشريف

تأليف
الدكتور/ عبد العظيم المطعني
أستاذ الدراسات العليا
بكلية اللغة العربية - جامعة الأزهر

الجزء الثالث والأخير



مجلة إسلامية شهرية يصدرها مجمع البحوث الإسلامية
تأسست عام ١٣٤٩ هـ - ١٩٣١م

د- القبض والبسط[1]

١- تاء التأنيث:

وبدءًا من هذا الباب نودع الحديث عن الحذف والإثبات، أو النقص والزيادة إلى الحديث عن سمات أخرى تتصل برسم بعض الحروف بالمصحف الشريف.

وحديثنا نبدؤه مع كلمات قرآنية، مختومة بـ(تاء) التأنيث.

فعلى الرغم من أن الكلمة واحدة في مبناها ومعناها، تجد تاء التأنيث التي هي في نهاية الكلمة تأتي على صورتين:

- إحداهما: أن تكون التاء مربوطة (مغلقة) وهو الأصل، مثل: رحمة - نعمة- امرأة- كلمة- سنة ... وهكذا.

- الثانية: أن تكون التاء مبسوطة (مفتوحة) وهو خلاف الأصل، مثل: رحمت- نعمت- امرأت- كلمت- سنت ... وهكذا.

وهذه ظاهرة لافتة للنظر، مُثيرة للتساؤل:

لماذا رُبطت (التاء) فيما رُبطت فيه؟ ولماذا فُتحت فيما فُتحت فيه؟

و مُحال أن يكون الربط والفتح خاليا من الدلالة والمقتضى للربط أو الفتح والبسط، إذ لا بد من معنى وراء كل منهما.

---

(١) القبض والبسط مصطلحان في علوم القرآن يراد من الأول ربط (التاء) في نحو (نعمة وسنة) وبالثاني فتح (التاء) نحو: نعمت، وسنت إذا كانتا مضافتين إلى اسم ظاهر. ويُقال فيهما: القبض والمد، والمعنى واحد.

وهذا ما نعرض له -الآن- بعون الله وتسديده.

ولنأخذ في سوق الشواهد وتحليلها، بما يزيل كل لبس بإِذن الله، الهادي لأقوم سبيل.

أ- (الرحمة) مقبوضة ومبسوطة:

من الكلمات القرآنية، التي ورد رسمها في المصحف الشريف بقبض التاء وبسطها كلمة (الرحمة)، ولها حالتان من حيث البناء الصرفي:

إحداهما: قطعها عن الإِضافة، سواء كانت معرفة أو نكرة.

وفي هذه الحالة تكون (التاء) فيها مقبوضة أو مربوطة، والقبض والربط بمعنى واحد، ومن أمثلتها قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾

(البقرة: ١٧٨)

وقوله تعالى:

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾

(آل عمران: ٨)

وقول تعالى: ﴿كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ﴾

(الأنعام: ١٢)

ثم قوله تعالى:

﴿وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ﴾

(الإِسراء: ٢٤)

هذه أربعة أمثلة في أربع آيات من أربع سور، مثالان منها وردت كلمة (رحمة) نكرة، ومثالان وردت معرفة (الرحمة) وكلها كانت التاء فيها مقبوضة مربوطة، مع ملاحظة أنها كلها مقطوعة عن الإضافة.

أما الحالة الثانية: فوردت كلمة (رحمة - رحمت) مضافة إلى اسم من أسماء الله الحسنى، إما إلى الله وإما إلى ربك بكاف الخطاب.

واختلاف رسم التاء فيها بين القبض والبسط (ربط التاء وفتحها) هكذا: رحمة- رحمت، له دلالات ولطائف، ولم يأت خاليا من الدلالة على معنى قط.

ومن مواضع قبض (التاء) قوله تعالى:

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

(آل عمران: ١٠٧)

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقۡنَطُ مِن رَّحۡمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾

(الحجر: ٥٦)

وقوله تعالى:

﴿قُل لَّوۡ أَنتُمۡ تَمۡلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحۡمَةِ رَبِّيٓ إِذٗا لَّأَمۡسَكۡتُمۡ خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ وَكَانَ ٱلۡإِنسَٰنُ قَتُورٗا ﴾

(الإسراء: ١٠٠)

وقوله -عز وجل-: ﴿ أَمۡ عِندَهُمۡ خَزَآئِنُ رَحۡمَةِ رَبِّكَ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡوَهَّابِ ﴾

(ص: ٩)

ثم قوله تعالى:

﴿ قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾

(الزمر: ٥٣)

هذه خمسة أمثلة وردت فيها كلمة (رحمة) مضافة إلى اسم ظاهر من أسماء الله الحسنى، وقد رسم فيها حرف (التاء) مربوطا أي مقبوضا مغلقا، غير مفتوح ولا مبسوط.

وهذا هو منهج لغة القرآن الكريم في رسم هذه الكلمة، سواء كانت معرفة أو نكرة، أو حتى مضافة إلى اسم من أسماء الله الحسنى.

يقول الإمام (أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني محمد بن القاسم النحوي):

«وكل ما في كتاب الله -عز وجل- من ذكر الرحمة فهو بـ(الهاء) يعني التاء المربوطة التي تنطق في الوقف هاء تأنيث- فهو بـ(الهاء) إلا سبعة أحرف»[٢]

يعني أن هذه الكلمة (رحمة- الرحمة) الأصل فيها ربط تائها لا فتحها، إلا في سبعة مواضع من القرآن الكريم، رُسمت فيها كلمة (رحمت) بتاء مفتوحة أو مبسوطة أو ممدودة، وهذه المصطلحات تعني عند علماء علوم القرآن الكريم معنى واحدا.

---

(٢) المقنع في رسم مصاحف الأمصار ٨٢.

وقبل أن نُبين لطائف وأسرار هذا الاختلاف في رسم هذه الكلمة، نذكر أولا المواضع السبعة التي وردت فيها كلمة (رحمت) بالتاء المفتوحة وهي على ترتيب المصحف كما يلي:

الموضع الأول:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

(البقرة: ٢١٨)

الموضع الثاني:

﴿وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًاۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾

(الأعراف: ٥٦)

الموضع الثالث:

﴿قَالُوٓا۟ أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِۖ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ عَلَيْكُمْ أَهْلَ ٱلْبَيْتِۚ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾

(هود: ٧٣)

الموضع الرابع:

﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾

(مريم: ٢)

الموضع الخامس:

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

(الروم: ٥٠)

الموضع السادس:

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾

(الزخرف: ٣٢)

الموضع السابع:

﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

(الزخرف: ٣٢)

هذه هي المواضع السبعة التي وردت فيها كلمة (رحمت) مبسوطة التاء غير مربوطة، وهنا يأتي السؤال المهم:

عرفنا أن الأصل في رسم هذه الكلمة في كل مواضع ورودها في القرآن أن يكون (التاء) فيها مغلقا، فلأي شيء خُولف هذا الأصل في المواضع السبعة المذكورة؟

أما كان الأولى هو توحيد رسمها: إما مربوطة التاء على الأصل؟ وإما مفتوحة التاء؟

فلماذا - إذن- جيء بها مربوطة التاء في الأعم الأغلب؟ ثم جيء بها مفتوحة التاء في المواضع السبعة المتقدم ذكرها؟

والجواب:

إن مجيء (التاء) مربوطا في الأعم الأغلب على الرغم من أنه الأصل، فإن له معنى اقتضى ربط أو غلق التاء، ذلك المعنى هو الدلالة على مجرد الاسمية دون اعتبار -آخر زائد- على مجرد الاسمية، أي: المعنى العام للرحمة المقابل لمعنى العذاب.

أما المفتوح (التاء) فإن معناه مختلف عن معنى مربوط التاء؛ لأنه أخص منه وذاك أعم، لأن المراد منه معنى الفعل لا معنى الاسم، أو بعبارة أشد وضوحًا:

المراد من مربوط (التاء) المعنى العام للرحمة، وهو يشمل الرحمة المدّخرة عند الله إلى أبد الآبدين.

ثم الرحمة الواقعية التي يتمتع بها الناس واقعا ملموسا في حياتهم.

أما المفتوح (التاء) فإن المراد منه الرحمة الواقعية فحسب، أي التي ينعم بها الناس الآن.

إذن فما كان مدخرا عند الله غير مستعمل في حياة الناس فهو رحمة بربط التاء.

وما كان مستعملا في حاضر الناس، وآثاره مدركة لهم: كالماء الذي يشربونه والطعام الذي يأكلونه، وصحة الأبدان، والحواس التي يميزون بها بين المدركات، فهذه رحمت بفتح التاء.

وما كان عند الله من الرحمة الواسعة التي سينعم الناس بها في أوقات لاحقة فهو رحمة بالتاء المغلقة المربوطة.

وتفصيل ذلك وتوضيحه أكثر فأكثر، يتوقف على المقارنة بين ما كان التاء فيه مغلقا مربوطا هكذا رحمة، وما كان التاء فيه مفتوحا هكذا رحمت.

على أننا في هذه المقارنة سنستبعد الأمثلة التي وردت فيها

الرحمة، معرفة أو نكرة ونقصر المقارنة على ما ورد مضافا إلى اسم ظاهر من أسماء الله الحسنى؛ لأنه هو المقصود لنا من هذه الدراسة، فنقول مستمدين الهداية والتوفيق من الله -عز وجل-.

ولنبدأ بالمقارنة بين الموضعين الأولين مما ذكرناه قبلا من أمثلة مقبوض (التاء) و(مفتوحها) وهما:

﴿ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبۡيَضَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴾

(آل عمران: ١٠٧)

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ﴾

(البقرة: ٢١٨)

قبضت (التاء) في الأولى ﴿ فَفِي رَحۡمَةِ ٱللَّهِ ﴾ لأن الرحمة هنا المراد بها الجنة والجنة سيدخلها أهلها في الحياة الآخرة، لا في الحياة الدنيا، فهي -إذن- رحمة مدخرة عند الله، غير مستعملة الآن.

وفُتحت (التاء) في الآية الثانية

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَرۡجُونَ رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ ﴾

لأنها رحمة عاجلة في المقام الأول، فهي رحمة مهيئة للاستعمال والتمتع بها في الدنيا موصولا التمتع بها في الآخرة.

فجاء قبض (التاء) رمزا على الرحمة الآجلة، وفتحها رمزا على الرحمة العاجلة.

الموضع الثاني مع نظيره:

﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾

(الحجر : ٥٦)

﴿ وَلَا تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا وَٱدْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا ۚ إِنَّ رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾

(الأعراف : ٥٦)

قبضت (التاء) في الأولى ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ ﴾ لأنها وردت في سياق حديث عن الضالين الذين يئسوا من رحمة الله، فهم محرومون منها، وهي رحمة ممتنعة في حقهم، إذ ليس لهم في رحمة الله نصيب، إنها رحمة مغلقة أبوابها في وجوههم، فناسب هذا غلق (التاء).

أما في نظيرتها فقد جاء كلمة (رحمت) مفتوحة التاء؛ لأنها وردت في سياق الحديث عن المحسنين، ورحمت الله قريب منهم، فهي رحمة مبذولة لهم في الدنيا (رحمة عاجلة) ليتمتعوا بها في هذه الحياة الدنيا.

رحمة مفتوحة أبوابها للمحسنين من الله -عز وجل- كما قال سبحانه: ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾

(فاطر : ٢)

فقبض (التاء) رمز به إلى معنى لطيف، هو حرمان الضالين من ألطاف الله ورحمته في الدنيا، موصولا هذا الحرمان بمصيرهم في الآخرة.

أما مع المحسنين، فإن رحمت الله مبذولة لهم، كما قال -عز وجل-:

﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ۚ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ﴾

(الأعراف: ١٥٦)

الموضع الثالث مع نظيره:

﴿قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ ۚ وَكَانَ الْإِنسَانُ قَتُورًا﴾

(الإسراء: ١٠٠)

﴿قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾

(هود: ٧٣)

قبضت التاء أو أغلقت أو ربطت في الآية الأولى من كلمة (رحمة) لأنها رحمة مخزونة.

بدليل قوله -عز وجل-:

﴿لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّي﴾

فهي إذن رحمة مخزونة غير مبذولة، رحمة واسعة مدخرة عند الله -عز وجل-.

فناسب هذا المعني المصرح به إغلاق (التاء) وربطها أو قبضها.

أما في نظيرة هذه الآية فجاءت (رحمت) مفتوحة التاء؛

لأنها رحمة مبذولة لأهل بيت نبوة إبراهيم عليه السلام ومن صورها العاجلة بشرى إبراهيم عليه السلام بالولد رحمة من الله -عز وجل- .

لأنه قبل هذه الآية ورد قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا ۖ قَالَ سَلَامٌ ۖ فَمَا لَبِثَ أَن جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۚ قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴿٧١﴾ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ۖ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ ۚ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾

(هود : ٦٩ - ٧٣)

فهذه رحمات منجزة عاجلة ، منّ الله بها على أبي الأنبياء إبراهيم عليه السلام وعلى زوجه ، فرزقهما إسحاق في سن الشيخوخة الفانية ، والله على كل شيء قدير .

لذلك جاءت كلمة (رحمت) هنا مفتوحة التاء ؛ للإشعار بهذا المعنى من طرف خفي ، وهذا ملمح جديد من ملامح الإعجاز القرآني في رسمه الشريف .

الموضع الرابع مع نظيره:

﴿ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ﴾

(ص : ٩)

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾

(مريم: ٢)

أغلق حرف (التاء) في الآية الأولى: لأن الرحمة فيها هي الرحمة المدخرة عند الله، بدليل قوله تعالى:

﴿ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ﴾

والشيء المخزون مدخر محفوظ كما تقدم في آية الإسراء (١٠٠) فجاء حرف التاء مربوطا مغلقا، حتى لكأن ربطه وكاء مطبوع على منافذ أو أبواب خزائن الرحمة المدخرة عند الله -عز وجل-.

أما في الآية الثانية:

﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾

فكان فتح (التاء) في رحمت رمزا لطيفا إلى معنى لطيف، هو أن القرآن يتحدث عن رحمة عاجلة مبذولة، هي ما أنعم الله بها على عبده زكريا عليه السلام وجاءت الآيات التي بعد هذه الآية تشرح ذلك وتفصله.

﴿ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّى وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّى وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا ﴿٤﴾ وَإِنِّى خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِىَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ﴾

(مريم: ٣ - ٧)

إن الخلاصة السريعة لهذه الآيات، أن زكريا عليه السلام دعا ربه فاستجاب الله دعاءه ومنّ عليه بـ (يحيى) عليه السلام.

إذن: فالرحمة في هذه الآية: ﴿ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ﴾

رحمة عاجلة منجزة، لذلك جاء حرف التاء فيها مفتوحا على مصراعيه ليومئ إلى هذا المعنى اللطيف، ويؤكد بكل قوة صدق القاعدة في ربط التاء وفتحها.

الموضع الخامس مع نظيره:

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾

(الزمر: ٥٣)

﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

(الروم: ٥٠)

قبضت التاء في الآية الأولى لأن الرحمة وردت في سياق الحديث عن المسرفين على أنفسهم في المعاصي حتى صاروا قانطين من رحمة الله فهم في هذه الحالة محرومون من الرحمة، ما لم يرجعوا ويتوبوا إلى الله -عز وجل-.

وفي الآية ترغيب لهم في الإنابة إلى الله، لتنالهم هذه الرحمة، التي هم محرومون منها قبل توبتهم إلى الله.

فأنت ترى أن ربط أو إغلاق (التاء) في ﴿رَحْمَتَ ٱللَّهِ ۚ﴾ في

هذه الآية جاء رمزا على هذا المعنى.

أما الآية الثانية، فقد فتحت فيها (التاء) من كلمة ﴿رَحۡمَتَ ٱللَّهِۚ﴾ لأنها تتحدث عن رحمة واقعية منجزة عاجلة في الحياة الدنيا، ترى بالبصر -والبصيرة- معا وكفى دليلا على ذلك قوله تعالى:

﴿فَٱنظُرۡ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾

فقد دعانا الله -عز وجل- إلى النظر إلى آثار رحمته؛ لأنها ماثلة أمامنا، حتى أصبحت موضوعا للنظر، لذا: دعانا إلى التأمل في كيفية إحياء الله للأرض بعد موتها.

فقد كانت جرداء قاحلة قبل إنزال الله الماء عليها، ثم اهتزت الأرض وربت وأنبتت من كل زوج بهيج، من الزروع والنباتات والأشجار والثمار المختلفة الحجوم والألوان والطعوم.

أليست هذه رحمة حاضرة مفتوحة أبوابها؟

وهكذا جاء فتح (التاء) في كلمة ﴿رَحۡمَتِ ٱللَّهِ﴾ في هذه الآية إشارة لطيفة إلى هذا المعنى اللطيف.

فهل -بعد هذا الوضوح- يشك شاك أو يرتاب مرتاب، في صدق هذه الملاحظات حول ربط (التاء) وفتحها في (رحمة الله)، و(رحمت الله) في رسم المصحف الشريف؟

وهل يصح في عقل عاقل أن يسوي بين رحمة الله المربوطة التاء، ورحمت الله المفتوحة التاء في الدلالة؟!

كلا، ثم كلا، فكتاب الله العزيز كل شيء فيه جاء لمعنى لا لغو فيه، ولا نقص ولا زيادة.

الموضع السادس مع نظيره:

وقد ورد في سورة الزخرف في قوله تعالى:

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ (الزخرف: ٣٢)

فتحت التاء في ﴿رَحْمَتِ رَبِّكَ﴾ في الموضعين:

أما في الأول فلأن المراد من (رحمت ربك) هو النبوة، أو القرآن، وهما رحمتان حاضرتان منجزتان.

والدليل على أن المراد من هذه الرحمة النبوة أو القرآن[٣] قوله تعالى قبل هذه الآية مباشرة:

﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴾

(الزخرف: ٣١)

فقد زجوا بأنفسهم فيما ليس هم له بأهل، فرد الله عليهم بأنه هو المتصرف في أخص شئونهم لا هم، فكيف يتدخلون فيما ليس هم له بأهل؟

أما الموضع الأخير، وهو:

﴿وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾

فالمراد من الرحمة هنا: هداية الله والفوز بالنجاة في الدنيا

---

(٣) الكشاف للإمام الزمخشري ٣/ ٤٨٦.

والآخرة، وهي –كما ترى– رحمة منجزة حاضرة ممتدة آثارها إلى أبد الآبدين.

إن: كلمة (رحمت الله) بفتح (التاء) إشارة إلى الجزء المستعمل من رحمة الله الواسعة، والذي يتفضل الله به على المخلوقات في الحياة الدنيا كعطف الأم على وليدها، وكالماء الذي ينزله الله تعالى لمنافع الناس.

أما إذا ربطت (تاء) رحمة فإن معناها يختص بما ادخره الله لعباده، من النعم في الدار الآخرة، فالمعنى في المربوط التاء عام شامل لكل نعم الله –عز وجل–.

ب. نعمة مقبوضة ومبسوطة:

ومثل كلمة (رحمة) كلمة (نعمة) فقد جاءت في القرآن مربوطة (التاء) في مواضع كثيرة على الأصل.

وجاءت مفتوحة (التاء) في أحد عشر موضعا في كتاب الله العزيز، مرادا منها كلها ما تفضل الله به فعلا على عباده في هذه الحياة الدنيا.

وإليك بيانها في الآتي:

١) ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيۡكُم مِّنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡحِكۡمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾

(البقرة: ٢٣١)

فالمراد من (نعمت الله) في الآية على ما ذكره المفسرون

هي الإِسلام، وهي نعمة حاضرة ـ الآن ـ ويؤكد هذا المعنى أن الله -عزوجل- عطف على (نعمت الله) كلا من الكتاب (القرآن) والهدي النبوي (الحكمة) وهي كلها نعم حاضرة يتمتع بها المؤمنون منذ عصر النبوة حتى الآن، وإلى أن تقوم الساعة.

٢) ﴿ وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ ﴾

(آل عمران: ١٠٣)

الشاهد في هذه الآية الكريمة هو ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ حيث جاءت مفتوحة (التاء) وهى مضافة إلى اسم ظاهر (اسم الجلالة) أما قوله تعالى بعدها: بنعمت فهي مضافة إلى ضمير فلا تدخل معنا في هذا البيان لأن فتح (التاء) فيها لازم[٤].

والسر في فتح (التاء) في ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ الإشارة إلى أن الله -عز وجل- يمتن على الأوس والخزرج (الأنصار أهل المدينة) بنعم منه حاضرة في حياتهم الدنيا، وهي كما ورد في الآية:

- إزالة العداوة التي كانت بينهم في الجاهلية قبل إسلامهم، وقبل هجرة النبي ﷺ إليهم.
- كونهم أصبحوا إخوانا متحابين بعد أن كانوا أعداء متباغضين.

---

(٤) لأن قبض (التاء) في المضاف إلى الضمير غير ممكن خطًا

● إنقاذهم من عذاب النار الذي أشرفوا عليه في الجاهلية، لولا أن منّ الله عليهم بالهداية.

فهي -كما ترى- نعم كانوا يغدون فيها ويروحون، وإلى هذه المعاني رمز فتح (التاء) في ﴿نِعۡمَتَ ٱللَّهِ﴾ وبين فتح (التاء) من حيث الصورة والرسم الخطي، وبين حضور هذه النعم والاستمتاع العاجل بها صلة وثيقة.

لأن فتح (التاء) يدل على سيولة النعمة وفيضانها؛ أما ربط (التاء) هكذا (نعمة) فيدل حسا على خزن النعمة، وإمساكها.

فأنت ترى هذه الإيحاءات اللطيفة الشريفة نوعا من لغة التنزيل لا عهد للناس به ولا وجود له إلا في كتاب الله العزيز الذي لا تنتهي عجائبه.

٣) ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾

(المائدة: ١١)

في هذه الآية الحكيمة يمتن الله على عباده المؤمنين بنعمة له عليهم، وهي: كشف الكرب عنهم، ودفع عدوهم دون أن ينالوهم بأذى، وهي -كما ترى- نعمة أحسّ بها المؤمنون، وعاشوا في ظلالها الوارفة في الحياة الدنيا، فهي -إذن- نعمة مبذولة من الله لهم، نعمة خاصة عرفوا فضل الله عليهم فيها، فنجوا من بأس عدوهم.

من أجل هذا المعنى جاءت تاء (نِعْمَتْ) مفتوحة لا مغلقة.

ولما كانت هذه النعمة محسوسة عند الذين آمنوا جاء الأمر من الله بأن يذكروها ويستحضروها في مشاعرهم بعد وقوعها، فلا يحسن بهم أن ينسوها، لأن في ذكرها سبيلا لشكرها، ولأن في نسيانها ذريعة لكفرانها وإهمال شكرها.

٤) ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ﴾

(إبراهيم: ٢٨)

فتحت (التاء) في هذه الآية في كلمة (نعمت) لأنها نعمة حاضرة أنعم الله بها على فريق من عباده، ومكنهم من التمتع بها. بدليل أنهم بدلوها من معنى النعمة وجعلوها كفرًا.

فالتبديل هو دليل التمكن من النعمة، لأنها لو كانت نعمة غيبية غير واقعة ما استطاعوا تبديلها.

فجاءت (التاء) ممدودة (مفتوحة) للدلالة على هذا المعنى، وفتح (التاء) في هذه النماذج متسق تمامًا مع قوله تعالى:

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾

(فاطر: ٢)

كما أن ربط (التاء) في نحو

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

(النحل: ١٨)

يناسب معنى الإمساك في قوله تعالى:

﴿ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾

(فاطر: ٢)

لأن ربط (التاء) فيه دلالة على حصر ما بداخله، فهو يشمل العاجل المبذول من نعم الله، والآجل المأمول.

ويؤكد هذا المعنى قوله تعالى في نفس السورة:

﴿ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

(إبراهيم: ٣٤)

فعلى الرغم من مجيء الآيتين على نظم واحد في الألفاظ والتراكيب، قبضت (التاء) في الآية الأولى (١٨) ومدت في الثانية (٣٤)، والفارق بينهما دقيق، هو الذي اقتضى ربط (التاء) في الأولى، وبسطها في (الثانية)، فالنعمة في الأولى عامة شاملة لما هو واقع في حياة الناس، ولما هو مدخر مأمول عند الله -عز وجل-.

أما في الآية الثانية فالمراد النعمة المبذولة المعروفة للناس، يدلك على هذا الآيات المذكورة قبل هذه الآية، وهي:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾

وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُۚ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

(إبراهيم: ٣٢ - ٣٤)

ثم قال:

﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾

تأمل ما ذكره الله في هذه الآيات من أصول النعم وفروعها، تجدها نعمًا حاضرة ينتفع بها الناس في حياتهم العاجلة، وهي:

- خلق السماوات والأرض.
- إنزال الماء من السماء.
- إخراج الثمرات من الأرض.
- جري الفلك في البحر.
- تسخير الأنهار.
- تسخير الشمس والقمر والليل والنهار.
- إجابة الله الدعاء وفق حكمته وإرادته.

هذه النعم يتفيؤ الإنسان ظلالها في كل لحظة تمر به من حياته، فهي نعم مبذولة حاضرة، لا مأمولة غائبة.

لذلك كان فتح (التاء) في ﴿نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ رمزًا واضحًا على تدفق تلك النعم وانفجارها من أبوابها الإلهية الواسعة، وهذه أعجوبة من عجائب كتاب الله العزيز، لا في مفرداته وتراكيبه فحسب،

بل وفي رسم كلماته المقروءة المرئية بالعين الباصرة.

وفي سورة (النحل) وردت كلمة (نعمت الله) مفتوحة (التاء) ثلاث مرات:

٦) قوله تعالى:

﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ هُمۡ يَكۡفُرُونَ ﴾

(النحل: ٧٢)

فتحت تاء (نعمت الله) هنا؛ لأن ما قبل هذه العبارة في الآية نفسها تعداد لنعم حاضرة، مبذولة فعلاً يستمتع بها المتحدث عنهم هكذا:

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ أَزۡوَٰجٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنۡ أَزۡوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةٗ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾

فجاء فتح (التاء) دليلاً على تمكن المخاطبين من هذه النعم: الأزواج - البنون - الحفدة - الرزق الطيب، ولذلك حسن أن ينكر القرآن عليهم كفرهم بنعم الله، وإيمانهم بالباطل، وهو الاعتقاد في الأصنام وعبادتها[٥].

ومن اللافت للنظر -حقًا- أن قبل هذه الآية (٧٢) مباشرة، وردت عبارة (نعمة الله) مربوطة (التاء) هكذا:

﴿ وَٱللَّهُ فَضَّلَ بَعۡضَكُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ فِي ٱلرِّزۡقِۚ فَمَا ٱلَّذِينَ فُضِّلُواْ بِرَآدِّي رِزۡقِهِمۡ عَلَىٰ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُمۡ فَهُمۡ فِيهِ سَوَآءٌۚ أَفَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَجۡحَدُونَ ﴾

(النحل: ٧١)

(٥) هذا الإنكار مفهوم من الاستفهام الإنكاري في الآية.

ضرب الله في هذه الآية مثلًا للمشركين، ينكر عليهم تسويتهم بين الله الخالق المدبر، وبين أصنامهم حيث جعلوهم شركاء لله في ملكه، قائلًا لهم: إنكم يا معشر الأحرار، لكم عبيد تملكون أمرهم، ولكم معارف أقل منكم مالًا، فهل أنتم تجعلون عبيدكم وفقراءكم شركاء في أموالكم، يتصرفون فيها مثلكم دون الرجوع إليكم؟! إن هذا لمحال، فكيف تجعلون بعض مخلوقات الله شركاء لله في ملكه؟[٦]

فالآية تنبههم إلى خطأ هم واقعون فيه، وليس فيها تفصيل للنعم، لذلك جاءت عبارة ﴿أَفَبِنِعْمَةِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ مربوطة (التاء) لأن المراد بنعمة الله -هنا- معنى عام شامل لكل النعم ولولا هذه الفروق الدقيقة لتوحد رسم كلمة (النعمة) في الموضوعين.

٧) والموضع الثاني في سورة (النحل) هو قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُنكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾

(النحل: ٨٣)

فتحت التاء في هذه الآية لأن المراد من النعمة نعم خاصة يدركها المتحدث عنهم، بدليل قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ ٱللَّهِ﴾ فهي نعمة يعيشون فيها صباح مساء.

---

(٦) انظر: حقائق القرآن وأباطيل خصومه شبهات وردود. القسم الثاني - نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

وقد أجملت الآيات التي قبل هذه الآية تلك النعم فقال -عز وجل-:

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمۡ سَكَنٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ بُيُوتٗا تَسۡتَخِفُّونَهَا يَوۡمَ ظَعۡنِكُمۡ وَيَوۡمَ إِقَامَتِكُمۡ وَمِنۡ أَصۡوَافِهَا وَأَوۡبَارِهَا وَأَشۡعَارِهَآ أَثَٰثٗا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٖ (٨٠) وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَٰلٗا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلۡجِبَالِ أَكۡنَٰنٗا وَجَعَلَ لَكُمۡ سَرَٰبِيلَ تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ يُتِمُّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تُسۡلِمُونَ﴾

(النحل: ٨٠، ٨١)

فهذه النعم التي عددها الله في هذه الآيات هي الحياة نفسها التي يعيش فيها الناس جمعت بين أصول الإنعام وفروعه، ومن أجل ذلك فتحت التاء في (نعمت الله) للدلالة على معنى حضور هذه النعم في حياة البشر.

٨) والموضع الثالث في سورة (النحل) هو قوله -عز وجل:

﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَٱشۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ إِيَّاهُ تَعۡبُدُونَ﴾

(النحل: ١١٤)

إن هذه الآية تضع المخاطبين أمام (نعمت الله) وجهًا لوجه، حيث تأمرهم بالأكل المباشر من رزق الله، وفي الأكل

أقوى صلة، وأقرب حال بين العباد وبين النعم التي أجراها طيبة سخية في أيدي عباده.

فهل يجهل الإِنسان نعمة هو يتناولها بيده ويتذوقها بلسانه، ويزدردها في جوفه؟ وهذا يفسر مجيء (نعمت الله) مفتوحة (التاء) لأنها نعمة جارية أمام أعين الناس؛ بل وموضوعة أمامهم على منضدة الطعام، والله -عز وجل- يأمر عباده أن يشكروه على هذه النعم المسخرة المبذولة متاعًا للناس.

فهل -مع هذا- يرتاب أحد في أن خصوصيات الرسم العثماني لم تقم على منهج ولم تدل على معنى؟ أو هي لحن يقوِّمه العرب بألسنتهم؟!

٩) ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴾

(لقمان: ٣١)

إن القارئ الذي صحبنا في هذا الفرع من الدراسة (القبض والبسط) ليس في حاجة لشرح وبيان، لماذا جاءت (بنعمت الله) في هذه الآية مفتوحة (التاء) بعد أن عرف السبب في هذا (الفتح) في النظائر التي تقدمت؟ لأن تصدير الآية بقوله -عز وجل-: ﴿ أَلَمْ تَرَ ﴾مشعر بأن القرآن يلقي الضوء على نعم حاضرة ظاهرة مبصرة، هي: جريان الفلك في البحر، ولو كانت قد أرادت إرادة الله عدم جريانها ما

جرت ولركدت على ظهر البحر، أو لغرقت فيه.

ثم قوله في عجز الآية:

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾

إشارة أخرى إلى ظهور هذه النعمة وحضورها؛ لأن الله تعالى لا يحيل فكر الناس إلى شيء مجهول، وإنما يلفت الأنظار إلى حقائق مشرقة شروق الشمس.

١٠) وفي سورة (فاطر) جاء قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ﴾

(فاطر: ٣)

فتحت تاء (نعمت) هنا لأنها إشارة إلى رزق الله -عز وجل- عباده من السماء والأرض، ومن قبل ذلك خلقه لهم من العدم.

والخلق والرزق نعمتان حاضرتان ماثلتان أمام الأعيان، لذلك جاء فتح (التاء) رمزًا إلى هذه المعاني.

١١) ﴿فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ﴾

(الطور: ٢٩)

النعمة -هنا- هي النبوة، لأن المشركين قابلوا نبوته ﷺ فوصفوها بهذه الأوصاف، والنبوة نعمة حاضرة ظاهرة لم تنفك عنه ﷺ. وهكذا تطرد علة (فتح التاء) في هذه المواضع جميعًا، لم يشذ منها واحد.

● وصفوة القول :

أن تاء (نعمت) مثل تاء (رحمت) تفتح في الرسم العثماني للمصحف الشريف، أو تمد إذا كانت حاصلة بالفعل، وتقبض فيما عدا ذلك.

جـ - سنة - سُنت:

وردت كلمة (سنة) في القرآن مرات عديدة ترسم (التاء) فيها مقبوضة هكذا (سنة) أحيانًا، ومبسوطة أو ممدودة هكذا (سنت) أحيانًا أخرى.

وكما علمنا من قبل محال أن يكون هذا (الصنع) عشوائيًا خاليًا من الدلالة لأنه كتاب مصون محفوظ من كل خلل، في ألفاظه، وفي تراكيبه، وفي معانيه وفي مناهج رسم كلماته المقروءة في صفحاته الورقية.

ونبادر ونقول:

إن ما جاء من كلمة (سنة) مقبوض أو مربوط (التاء) جاء على الأصل، وما جاء على الأصل لا يبحث عنه ولا فيه.

أما ما جاء على خلاف الأصل، فهو الذي يجب البحث عن دلالاته وأسراره التي من أجلها خُولف ذلك الأصل[٧].

١- وردت كلمة (سُنت) مفتوحة (التاء) في قوله تعالى:

---

(٧) مخالفة الأصل فن بلاغي دقيق المسالك ويعرف عند علماء البلاغة بـ (الإخراج على خلاف الظاهر) وهو العدول عن صيغة إلى صيغة أخرى لداع بلاغي، وبهذا الفن ألحقنا العدول عن ربط التاء إلى فتحه، ودواعيه البلاغية هي المعاني اللطيفة التي أشرنا إليها مرات.

﴿ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

(الأنفال : ٣٨)

فلماذا فتحت (التاء) في كلمة (سنت) هنا؟ ولم تربط، والربط هو الأصل؟ لماذا خولف الأصل فيها يا ترى؟

والجواب:

إن فتح (التاء) هنا جيء به لمعنى لطيف وهو الدلالة على أن المراد من كلمة (سنت) في هذا السياق هو الانتقام والإهلاك والعقوبة العاجلة، التي لها ظهور في الوجود.

لأن قوله تعالى:

﴿ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾

خبر مستعمل في التهديد وشدة الوعيد؛ أي: إذا لم ينتهوا عن كفرهم نهلكهم في الدنيا قبل الآخرة.

ويدل على هذا ما قبل هذه الآية، وهو قوله تعالى:

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾

(الأنفال : ٣٧)

كما يدل عليه ما بعدها، وهو قوله تعالى:

﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾

(الأنفال : ٣٩)

٢- والموضع الثاني وهو قوله تعالى:

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾

(فاطر : ٤٣)

وردت كلمة ﴿سَنَتِ﴾في هذه الآية مفتوحة (التاء) ثلاث مرات، في المرة الأولى أضيفت لـ﴿ٱلْأَوَّلِينَ﴾لفظا لا معنى، وفي المرتين الثانية والثالثة أضيفت إلى اسم الجلالة (الله).

والأولى وإن أضيفت لـ(الأولين) فهي مضافة لله معنى؛ لأن التقدير: سنت الله في الأولين.

والمراد منها في المرات الثلاثة هو الانتقام والإهلاك العاجل.

والدليل على ذلك ما ورد في الآية نفسها:

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ﴾

والمعنى: هل ينظرون إلا أن ينتقم الله منهم ويهلكهم كما أهلك أمثالهم من قبل وانتقم منهم.

٣- والموضع الثالث وهو قوله تعالى:

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾

(غافر : ٨٥)

واضح جدا من سياق الكلام في هذه الآية أن المراد من ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾هو الانتقام العاجل الذي أحله الله بهذا الفريق

من الكفار، بدليل قوله تعالى في الآية نفسها: ﴿لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا﴾والرؤية هنا رؤية بصرية، أي لما رأوا عذابنا حالًا بهم وأبصروه بأعينهم.

ويزيد هذا الوضوح تألقا قوله عز وجل قبل هذه الآية مباشرة:

﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ﴾

(غافر: ٨٤)

إن فتح (التاء) أو بسطها ومدها - هنا - جاء رمز للدلالة على معنى لطيف هو أن المراد من ﴿سُنَّتَ ٱللَّهِ﴾هو فعل الانتقام الظاهر في الوجود، وهذا لم يدل عليه بلفظ أو جملة، وإنما كان سبيل الدلالة عليه هو (صورة التاء المفتوحة).

وهذا ما أشرنا إليه من قبل: أنه نوع من الإيجاز من طراز فريد، ليس له وجود إلا في كتاب الله العزيز، وهذا الإيجاز الفريد الطراز، ليس مقصورا على هذا الموضع، بل هو عام شامل لجميع خصوصيات الرسم القرآني الشريف.

فهذه خمس مرات في هذه الآيات وردت فيها كلمة ﴿سُنَّتُ﴾ مفتوحة (التاء) إشارة لطيفة إلى أن المراد من كلمة ﴿سُنَّتُ﴾ في المرات الخمس هو الانتقام الذي قد وقع فعلا في الوجود، إما حقيقة كما أهلك الله أقوام هود وصالح ونوح، وإما إبعادا وتهديدا كما في خطاب مشركي

العرب، لأن معنى ﴿سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ تهديد لهم بإنزال العذاب الذي أوقعه الله حقيقة بالأمم الغابرة.

أما (سنة) المقبوضة (التاء) فإنها تشمل أمرين:

● الانتقام العاجل في هذه الحياة الدنيا.

● قوانين الله ونواميسه في خلقه، سواء كان ذلك في الكائنات الحية، مثل الإنسان والحيوان والنبات، أو في الجماديات كقوانين الكيمياء والفيزياء وكل ما تخضع له المادة من تغيرات حسب الظروف التي تطرأ عليها مثل تمدد الحديد بالحرارة، وانكماشه بالبرودة، وتبخر الماء وتجميده ... إلخ.

وهذه أمثلة:

١- ورد قوله تعالى:

﴿ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَقَدۡ خَلَتۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾

(الحجر: ١٣)

جاءت كلمة ﴿سَنَةٍ﴾ بقبض (التاء) للدلالة على قانون من قوانين الله -عز وجل- في مكذبي الرسل، وهو الطمس على قلوبهم لصدهم عن سبيل الله، بدليل ما ذكره الله قبل هذه الآية مباشرة:

﴿وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي شِيَعِ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾ وَمَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿١١﴾ كَذَٰلِكَ نَسۡلُكُهُۥ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ﴾

(الحجر: ١٠ - ١٢)

هذا التصرف الإلهي هو الذي سماه الله -عز وجل-: ﴿سُنَّتُ

﴿ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴾والمعنى هنا أن الله حرمهم من ألطافه فحجر قلوبهم، كما قال -عز وجل-:

﴿ خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ وَعَلَىٰ سَمۡعِهِمۡۖ وَعَلَىٰٓ أَبۡصَٰرِهِمۡ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴾

(البقرة: ٧)

فالمراد من (السنة) في هذه الآية ما هو أعم وأشمل من العقاب الحسي والانتقام المادي.

٢- وكذلك ورد:

﴿ سُنَّةَ مَن قَدۡ أَرۡسَلۡنَا قَبۡلَكَ مِن رُّسُلِنَاۖ وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحۡوِيلًا ﴾

(الإسراء: ٧٧)

جاءت كلمة ﴿سَنَةٍ﴾في الآية مربوطة (التاء) للدلالة على معنى هو حماية الله رسله جميعا وتبوير مكايد أعدائهم.

وليس في الآية دليل على أن المراد منها انتقام مادي عاجل؛ لأن صدر الآية التي قبلها يقول:

﴿وَإِن كَادُواْ لَيَسۡتَفِزُّونَكَ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ لِيُخۡرِجُوكَ مِنۡهَا ﴾

(الإسراء: ٧٦)

و﴿كَادُواْ ﴾من أفعال المقاربة، والمعنى: أنهم كادوا أن يزعجوك ليخرجوك وهم لم يخرجوه، بل أمره الله بالخروج من مكة إلى المدينة.

فالآية تحمل وعدا من الله لرسوله الكريم، بأنهم لو حدث

منهم إخراجك فإن الله -عز وجل- سيشتت جمعهم ويمزق اجتماعهم.

وقد عرفنا من قبل أن (سنة) المربوطة (التاء) معناها أشمل وأعم من (سنت) المفتوحة (التاء).

فـ ﴿سُنَّتُ﴾ تشير إلى الوقوع الحسي الذي له صور في الوجود و﴿سَنَةٍ﴾ تشمل كل تدابير الله وقوانينه في الكون والكائنات.

٣- ومثل هذه الآية قوله تعالى:

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٠﴾ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴿٦١﴾ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾

(الأحزاب: ٦٠ - ٦٢)

رسمت كلمة ﴿سَنَةٍ﴾ في الآية مرتين بقبض (التاء) لأن المراد منها معنى عام يشمل الانتقام وغير الانتقام الحسي المادي، ومن غير الانتقام الحسي المادي في دلالة الآية، لعنة الله لهذا الفريق من الناس وحرمانهم من ألطافه ورحمته.

٤- وكذلك جاءت كلمة (سنة) بقبض (التاء) في قوله تعالى:

﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّهُمْ

﴿ إِلَّآ أَن تَأۡتِيَهُمۡ سُنَّةُ ٱلۡأَوَّلِينَ أَوۡ يَأۡتِيَهُمُ ٱلۡعَذَابُ قُبُلٗا ﴾

(الكهف: ٥٥)

ولابد أولا من بيان معنى هذه الآية:

المتبادر إلى الذهن أن فاعل (منع) أي الذي منع الناس من الإيمان والاستغفار لما جاءتهم الرسل بالبينات والهدى من عند الله هو أن تأتيهم سنة الأولين، وهي إهلاك المكذبين، أو أن يأتيهم العذاب من عند الله، حتى لكأن انتظار مجيء العذاب والهلاك هو الذي منعهم من تصديق الرسل.

وقد فهم هذا المعنى بعض المفسرين، منهم الزمخشري حيث قال:

«وما منع الناس الإيمان والاستغفار إلا انتظار أن تأتيهم سنة الأولين وهي الإهلاك، أو انتظار أن يأتيهم العذاب يعنى عذاب الآخرة».[٨]

وهذا غير مسلم على إطلاقه؛ لأنه جعل انتظارهم للعذاب هو المانع لهم من الإيمان بالهدى، والأقرب إلى السداد ما قاله ابن عطية في تفسير هذه الآية:

«هذه آية تأسف عليهم، وتنبيه على فساد حالهم؛ لأن هذا المنع لم يكن بقصد منهم أن يمتنعوا ليجيئهم العذاب، وإنما امتنعوا هم لاعتقادهم أنهم مصيبون، لكن

---

(٨) الكشاف ٢/ ٣٨٩.

الأمر في نفسه يسوقهم إلى هذا».[9]

ونخلص من هذا إلى أن إتيانهم سنة الأولين بالهلاك فاعل مجازي لبقائهم على الكفر والمعاصي، والفاعل الحقيقي للمنع (هم) لا انتظار مجيء العذاب، ومعنى الآية الذي لا نزاع فيه هو أن تأخير العذاب عنهم أغراهم بالبقاء على الكفر والمعاصي، فهو فاعل مجازي لا حقيقي.

وأيا كان الأمر فإن المراد من ﴿سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ في الآية هو (التخويف) لا الانتقام الفعلي المادي المحسوس؛ لأن الله لم يستأصل شأفة مشركي العرب، كما حدث لقوم نوح وهود وصالح ولوط.

لذلك رسمت كلمة (سنة) مربوطة (التاء) أو مقبوضة (التاء) وبعض العلماء يخص كل ما كان مفتوح (التاء) من هذه الكلمات بأن المراد منه (الفعل) وما كان مقبوض (التاء) بأن المراد منه (الاسم).

د- امرأت - امرأة:

وما قيل في (رحمت ورحمة – ونعمت ونعمة – وسنت وسنة)

يقال كذلك في: (امرأت – وامرأة) حيث جاءت هذه الكلمة في القرآن الكريم مقبوضة (التاء) في مواضع وهو الأصل، وجاءت مفتوحة (التاء) في مواضع سبعة، ومفتوحة (التاء)

(٩) المحرر الوجيز ١٠/ ٤١٦.

منها يدل على معنى مغاير للمعنى الذي تدل عليه مقبوضة (التاء) كما تقدم في رحمة ونعمة وسنة، وهذا يتضح من النظر في الآيات نفسها ولنبدأ بالمفتوح (التاء) في مواضعه السبعة، وتوخيا للإيجاز نذكر هذه المواضع دفعة واحدة، ثم ننظر فيها:

● الموضع الأول:

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ رَبِّ إِنِّى نَذَرْتُ لَكَ مَا فِى بَطْنِى مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾

(آل عمران: ٣٥)

● الموضع الثاني:

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴾

(القصص: ٩)

الموضع الثالث:

﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ ﴾

(التحريم: ١١)

● الموضعان الرابع والخامس:

﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ﴾

(التحريم: ١٠)

● الموضع السادس:

﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ ۖ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا ۖ ﴾

(يوسف: ٣٠)

● الموضع السابع :

﴿قَالَتِ ٱمۡرَأَتُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡـَٰٔنَ حَصۡحَصَ ٱلۡحَقُّ أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفۡسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

(يوسف : ٥١)

إن النظر الدقيق في هذه السياقات السبعة التي وردت فيها كلمة (امرأت) مفتوحة (التاء) يسفر عن الحقائق الآتية :

أولا : أنها في المواضع السبعة جاءت مضافة .

ثانيا : أن هذه (الإضافة) إلى غير الضمائر بل هي إضافة إلى أسماء ظاهرة (فرعون) مرتان، و(العزيز) مرتان، و(نوح) مرة و(لوط) مرة، و(عمران) مرة .

ثالثا : أن كلمة (امرأت) في المواضع السبعة تدل على ذات معينة لا يشترك معها غيرها فهي دلالة خاصة لا عامة .

رابعًا : أن المضاف (امرأت) والمضاف إليه في كل موضع بينهما علاقات وروابط زوجية قائمة .

خامسا : أن هذه العلاقات والروابط الزوجية هي الأساس في (الإنجاب) و(التولد) من حيث الجملة .

وينتج عن هذه الاعتبارات الخمسة أن فتح (تاء) التأنيث فيها جاء رمزا إلى هذه المعاني ، فقد خولف الأصل في رسم (امرأت) ولم تكتب بالتاء المربوطة ، فلله در القرآن الكريم ، ما أعظمه وما أعظم إعجازه من أي جهة نظرت إليه ، حتى رسم كلماته وحروفه معجز كنظمه وبلاغته ومعانيه .

أما (امرأة) بـ(التاء) المقبوضة أو المربوطة فدلالة عامة على واحدة غير معينة من النساء فهي كرجل تدل على نكرة شائعة في جنسها لا تخصيص فيها، ولنسق على هذا بعض الأمثلة:

قال تعالى:

﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمْرَأَةٌ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا ٱلسُّدُسُ ﴾

(النساء: ١٢)

تأمل في دلالتي رجل وامرأة في الآية، لا تجد أنهما يدلان على رجل معين، ولا امرأة معينة، بل تدل كلمة رجل على فرد غير معين شائع في أفراد جنسه، وتدل كلمة امرأة على فرد غير معين شائع في أفراد النساء، أي على كل من مات من أفراد الرجال وليس له أصل (أب – أم) وارث، وكل من مات من أفراد النساء وليس لها أصل ولا فرع وارث.

وإذا وازنت بين (امرأة) في هذه الآية وبين كلمة امرأة في قوله تعالى: ﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ ظفرت بوضوح الدلالة فيهما، فالأولى نكرة عامة أطلقت في الماضي باعتبار الوصف على كثيرات من النساء اللاتي مُتن وليس لهن أصل ولا فرع وارث.

وستظل تطلق في المستقبل على كل من تموت من النساء وليس لها فرع ولا أصل وارث.

أما ﴿ٱمْرَأَتُ عِمْرَٰنَ﴾ فهي فرد معين مخصص بالاسم

والصفة والزمان والمكان، ولهذا فإن فتح (التاء) في (امرأت) يدل على التحديد والتخصيص.

وقبض (التاء) فيها يدل على التعميم والشيوع الواسع، فيشمل أفراد الجنس كله وارجع -إن شئت- إلى الخصائص الخمسة التي ذكرناها آنفا التي لوحظت في كلمة (امرأت) المفتوحة (التاء) في آيات كتاب الله العزيز، لتعلم يقينا أن خصوصيات الرسم القرآني لها دلالات باهرة معجزة، لا كما يدعي قصار النظر أن هذه الخصوصيات وليدة العشوائية أو لضعف كتبة الوحي في فن الإملاء؟

هـ- ابنت

ويلحق بفتح (التاء) في (امرأت) فتح (التاء) في (ابنت)، حيث ورد في موضع واحد من القرآن الكريم في قوله -عز وجل-:

﴿ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴾

(التحريم: ١٢)

عوملت (ابنت) معاملة (امرأت) وإن لم تضف إلى رجل هو زوج لها، بل إلى رجل هو أبوها، وسبب فتح (التاء) فيها هو (الإنجاب) لأنها -رضي الله عنها- أنجبت عيسى عليه السلام وقد تقدم أن (الإنجاب) معتبر في فتح (التاء).

فسبحان الله!! أنزل هذا الكتاب (القرآن) الذي لا تنتهي

عجائبه، ولا ينضب معينه، ولا تجف مجاريه.

و- لعنة ولعنت:

كلمة (لعنة) جاءت مربوطة (التاء) في الرسم القرآني، في مثل قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴾

(البقرة: ١٦١)

وقوله تعالى:

﴿ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُواْ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌۢ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾

(الأعراف: ٤٤)

ومجيء (لعنة) مربوطة (التاء) هو الأصل وهي حينئذ تدل على المعنى العام لكلمة (اللعنة) وهي الطرد والإبعاد عن رحمة الله -عز وجل-.

وقد جاءت مخالفة للأصل في موضعين في الرسم القرآني:

الأول في قوله تعالى:

﴿ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْاْ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾

(آل عمران: ٦١)

إن فتح التاء في كلمة (لعنت) في هذه الآية جاء رمزًا للدلالة على معنى لطيف هو: أن المراد من اللعنة هنا غضب الله الذي يحل على الكاذب في الحال، أي الطرد العاجل من رحمة الله، أو العقوبة العاجلة في وقت الابتهال[١٠].

من أجل ذلك بسط (التاء) في الرسم القرآني هكذا: ﴿لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾.

أما الموضع الثاني فهو قوله تعالى:

﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾

(النور: ٧)

هذه الآية من الآيات التي فصلت أحكام اللعان بين الزوجين إذا اتهم الزوج امرأته بالزنا ولم يكن له شهود إلا نفسه، فإنه يشهد أربع مرات بالله أنه رآها تزني وفي الخامسة يقول -بعد الإقسام بالله- أن لعنة الله عليه إن كان كاذبًا في اتهامه إياها بالزنا.

ومجيء (لعنت) مبسوطة (التاء) غير مقبوضة دليل على أن الله يرتب حلول لعنته على هذا الكاذب في الحال قبل المآل.

ففتح (التاء) في هاتين الآيتين يرمز رمزا لطيفا إلى حلول العقوبة على مستحقيها في الدنيا قبل الآخرة.

---

(١٠) اللعان، ويُقال فيه (الملاعنة) كذلك، مبحث فقهي يقضى فيه بالفصل في الخصومة التي تنشأ بين الزوجين إذا اتهم الزوج امرأته بالزنا وليس له شهود إلا نفسه.

وبعض العلماء يقول في المعنى المدلول عليه بربط (التاء) أو (قبضه) أن المراد به الدلالة على مجرد (التسمية) أو على الاسم.

أما فتح (التاء) أو (بسطه) فإن المراد منه الدلالة على (الفعل) في الواقع (في الوجود) وهذا يعم كل مدلولات الكلمات التي جاءت على رسمين مختلفين في القرآن الكريم.

ز- شجرة - وشجرت:

رُسمت تاؤها مربوطة في مواضع، ورُسمت مفتوحة في موضع واحد.

فمن رسمها مربوطة قوله تعالى:

﴿ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴾

(الصافات: ٦٢ - ٦٥)

جاءت كلمة (شجرة) مرسومة بـ(التاء) المربوطة، لأن المراد تصويرها في الذهن من حيث إنها شجرة عجيبة، فهي نوع من النبات، والنبات لا ينمو ولا يعيش في النار، لكن قدرة الله لا يعجزها شيء.

وأن ثمرها في بشاعة منظره كأنه رءوس الشياطين في هولها وفي فظاعتها، فالمراد من ذكرها في هذه الآيات التعجيب والتهويل والتبشيع.

أما مجيؤها بـ(التاء) المفتوحة، أو المبسوطة فهذا تراه في قوله -عز وجل-:

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝٤٣ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝٤٤ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝٤٥ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾

(الدخان: ٤٣ - ٤٦)

فتحت (التاء) في كلمة (شجرة) في الآية لأن المراد ليس مجرد (الاسم) بل المراد هو (الفعل) أي: الأكل، فالبيان القرآني ذكر (شجرة الزقوم) باعتبارها مصدرا لأكل الآثمين، فهي -كما صورها البيان القرآني- بمثابة قُصيعة أو مادة طعام يأكله (الآثمون) فهم قد التهموه؛ لأنهم جوعى، وازدردوه فملئوا به بطونهم، فطفق يغلي فيها غليانا يشبه غليان السائل في إناء أوقدت عليه وحوله النار[١١].

قارن بين الموضعين اللذين رسمت فيهما الكلمة: مرة مربوطة (التاء) ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ ومرة مفتوحة (التاء): ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ﴾.

نجدها في الموضع الأول كأنها علبة طعام مغلقة، ونجدها في الموضع الثاني كأنها مائدة طعام يتكالب عليها آكلوها.

وهذا هو (الفعل) أو (الحدث) الذي له صورة محسوسة في الوجود.

---

(١١) انظر مفاهيم القرآن في تفسير (فتح القدير) للإمام الشوكاني (الجزء السادس سورة الدخان).

لذلك ربطت (التاء) في الأول، وفتحت في الثاني.

حـ - جنة - وجنت:

كلمة (جنة) جاءت في الرسم القرآني مربوطة (التاء) وهي مضافة إلى ما بعدها، أو غير مضافة، إلا في موضع واحد جاءت فيه مفتوحة (التاء) في قوله تعالى:

﴿ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾

(الواقعة: ٨٨، ٨٩)

فُتحت (التاء) في (جنت نعيم) لأن المراد منها هو النعيم الحاضر، الذي يكون مصيرا مباشرا لمن مات من (المقربين) فور خروج روحه من جسده.

فهو نعيم واقع فعلا بدءا من تلك اللحظة، التي تفارق الروح فيها الجسد دليل ذلك هو سياق الكلام الذي وردت فيه هذه الآية، وهو:

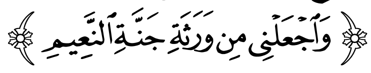
﴿ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴾

(الواقعة: ٨٣ - ٨٩)

هذه الآيات الكريمة تتحدث عن مشهد يتكرر آلاف المرات في اليوم الواحد هو ساعة رحيل كل حي من بني آدم. وعطف (روح وريحان وجنت نعيم) على واقعة خروج

الروح من الجسد بالفاء هكذا (فروح وريحان وجنت نعيم) دليل على أن حصول هذا النعيم يكون في الحال، لأن القبر كما جاء في الحديث الشريف: «القبر روضة من رياض الجنة، أو حفرة من حفر النار» (المعجم الأوسط للطبراني).

قارن هذا الموضع بقوله تعالى:



(الشعراء: ٨٥)

وقوله تعالى:

﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ﴾

(المعارج: ٣٨)

تجد دلالتها في هذين الموضعين تختلف عن دلالتها في الموضع الأول، فقد كانت الدلالة فيه هو النعيم الواقع فعلا، وهو فوق ذلك نعيم خاص.

أما المراد من كلمة (جنة نعيم) في هذين الموضعين فهو معنى عام كما ترى، وكذلك فإنه غير واقع بالفعل: ففي آية (الشعراء) هو مجرد دعاء من إبراهيم عليه السلام أن يجعله الله في المستقبل من أهل الجنة.

وأما في آية (المعارج) فهو الإشارة إلى طمع الذين كفروا في أن يدخل الله كل امرئ منهم جنة نعيم، وهم في الواقع مبعدون عنها.

من أجل ذلك المعنى (اللطيف) فتحت (التاء) في آية الواقعة:

﴿ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴾

مع ملاحظة أن نظم الآيات الثلاث واحد ليس فيه فرق إلا فتح (التاء) في آية الواقعة.

ط- معصية - ومعصيت:

وقبضها في آيتي (المعارج، والشعراء).

كلمة (معصية) جاءت مفتوحة (التاء) في موضعين من سورة واحدة، في قوله تعالى:

﴿ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجۡوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنۡهُ وَيَتَنَٰجَوۡنَ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوۡكَ بِمَا لَمۡ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُۚ حَسۡبُهُمۡ جَهَنَّمُ يَصۡلَوۡنَهَاۖ فَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٨﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا تَنَٰجَيۡتُمۡ فَلَا تَتَنَٰجَوۡاْ بِٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ وَمَعۡصِيَتِ ٱلرَّسُولِ ﴾

(المجادلة: ٨، ٩)

وفتح (التاء) في الموضعين رمز إلى معنى لطيف هو أن (معصيت الرسول) المراد منها الفعل الواقع من المنافقين في حال نجوى بعضهم بعضا، بدليل قوله تعالى حاكيا عما كانوا يقولون في أنفسهم: ﴿ لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾ فهم كانوا يعرفون أن فعلهم هذا معصية.

أما في خطاب الله المؤمنين فقد نهاهم أن تتضمن مناجاتهم قولا فيه معصية للرسول ﷺ كما كان يحدث من المنافقين،

لأن المناجاة هي الحديث، والحديث واقع فعلا، سواء كان طاعة أو معصية، فإن كان معصية فهي معصية واقعة فعلا في الوجود.

ي- فطرة - وفطرت:

جاءت مفتوحة (التاء) في القرآن مرة واحدة، وذلك في قوله تعالى:

﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾

(الروم: ٣٠)

لأن المراد من (فطرت الله) هنا الاستعداد للإيمان وعمل الصالحات، الذي خلق الله عليه الناس، يؤيد هذا قوله ﷺ: «كل مولود على الفطرة حتى يعرب عنه لسانه، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه» [١٢].

فالله -عز وجل- يخلق الناس على صفة الطهر والاستقامة، وهي الفطرة التي فطر الله الناس عليها، وهذه الفطرة النقية الطاهرة تتعرض للفساد بإهمال الوالدين في التربية، وبما تعكسه البيئات السيئة من الفساد والإفساد، ففتح (التاء) في (فطرت الله) رمز إلى الوجود الفعلي لهذه الفطرة في

---

(١٢) نقلـه السيوطي في الجامع الصغير ٦/ ١٥٨ ورواه البيهقي في شعب الإيمان وأبو يعلى في مسنده، والطبراني في المعجم الكبير.

الأطفال حين يولدون، فمن عُصم منهم لازمته هذه الفطرة، ومن ضل أفسدها، وصار مسئولا عنها أمام الناس، ويوم يقوم الناس لرب العالمين.

ك- قرة - وقرت:

كلمة (قرة) وردت في القرآن مرتين إحداهما مفتوحة (التاء) والأخرى مربوطة (التاء) وكلتاهما مضافتان.

فالأولى وردت في قوله تعالى:

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾

(القصص: ٩)

جاءت كلمة (قرت) هنا مفتوحة (التاء) لأنها بمعنى المسرة والسعادة الحاضرة في الوجود؛ لأنها وقعت خبرًا عن موسى عليه السلام وكان موسى حيًا موجودًا في طور الطفولة الباكرة، فالسرور به كان حاصلا ساعة قالت امرأة فرعون هذا الكلام. وجاء فتح (التاء) رمزًا دالا على هذا المعنى.

أما الموضع الثاني الذي رسمت فيه هذه الكلمة بـ (التاء) المربوطة فهو قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

(الفرقان: ٧٤)

فمع أنها جاءت على الأصل، وما جاء على الأصل لا يسأل

عنه، فإن مقارنتها بالأولى يظهر لها معنى، كأن ربط (التاء) جيء به رمزًا إليه.

ذلك المعنى هو أن السرور والإسعاد بالأزواج والذريات، ليس له وجود فعلي حين يقال هذا الكلام؛ وذلك لأنه دعاء، والدعاء لغة وشرعًا وعقلا وواقعًا يطلب به ما ليس حاصلا وقت الدعاء.

وهذا ظاهر لا يحتاج إلى طول تفكير، إذن امرأة فرعون كانت تشير بقولها: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّي وَلَكَ﴾، إلى نعمة حاصلة والمطلوب إبقاؤها، وذلك بالإعراض عن قتل موسى عليه السلام.

أما عباد الرحمن في سورة (الفرقان) فكانوا يطلبون من الله فضلا لم يكن حاصلا وقت الدعاء.

ل – بقية - وبقيت:

كلمة (بقيت) جاءت في الرسم القرآني بـ (التاء) المفتوحة، وهي مضافة إلى اسم الجلالة مرة واحدة في قوله تعالى حكاية عن قول شعيب لقومه:

﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۚ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ﴾

(هود: ٨٦)

فتحت (التاء) فيها لأن المراد فيها ما تبقى حلالا من المال الذي في أيديهم، بعد أن نهاهم الله على لسان شعيب عن الاحتيال لأكل أموال الناس بالباطل، وذلك في قوله –عز

وجل- قبل هذه الآية مباشرة:

﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ وَلَا تَنقُصُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ ۚ إِنِّىٓ أَرَىٰكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَٰقَوْمِ أَوْفُوا۟ ٱلْمِكْيَالَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا تَبْخَسُوا۟ ٱلنَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾

(هود: ٨٤، ٨٥)

ولا نزاع أن ما بقي في أيديهم من المال الحلال بعد تنفيذ هذه الأوامر والنواهي هم متمكنون منه، منتفعون به، وهو مال حاصل لهم، ليس غائبًا عنهم، ولا محظورًا عليهم الاستمتاع به.

من أجل ذلك فتحت فيها (التاء) إيذانًا بحرية التصرف فيها:

م- كلمة - وكلمت:

وبقيت لنا من هذه الكلمات، التي توارد عليها قبض (التاء) وبسطها في الرسم القرآني الشريف كلمة واحدة، هي (كلمت) مضافة إلى اسم ظاهر وشاهدنا عليها هو قوله -عز وجل-:

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ

إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُواْۖ وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُۥ وَمَا كَانُواْ يَعْرِشُونَ ﴾

(الأعراف: ١٣٧)

فتحت التاء في ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ في هذه الآية، لأن ﴿ كَلِمَتُ رَبِّكَ ﴾ هنا تشير إلى واقع فعلي ملموس هو:

- توريث الله الصابرين من بني إسرائيل في عهد موسى البقاع التي بارك الله فيها.
- ثم تدمير حضارة فرعون وجنوده، وتبوير كل ما عمله هو وقومه فوق سطح الأرض.

ضوابط فتح وربط التاء:

وقبل ختم الحديث عن القبض والبسط أو الفتح والربط نعود فنذكر القارئ الكريم بأن هذا النوع من البحث وهو فتح التاء وربطها يخضع للضوابط الآتية:

- أن تكون (التاء) تاء التأنيث.
- أن تكون هذه (التاء) علامة للتأنيث في الأسماء، مثل (رحمت) لا في الأفعال مثل: (قالت).
- أن تكون الكلمة خالية من الألف واللام -أداة التعريف- .
- أن تكون مضافة.
- أن تكون إضافتها إلى اسم ظاهر لا إلى ضمير.

ومن ينظر في النماذج التي تقدمت في هذا المبحث يجد كل هذه الضوابط حاصلة فيها.

هـ - الفصل والوصل

مقدمة:

للفصل والوصل في الدراسات الأدبية والبلاغية وغيرهما معان مختلفة، فيراد منهما في فن الإلقاء أن الفصل هو سكوت خاطف بين كلمتين أو جملتين، والوصل هو متابعة القول بدون سكوت بين مفرداته وجمله، إذا اقتضى الأمر أو المعنى المتابعة بين كلمتين أو جملتين، أما البلاغة فالمراد من الفصل فيها ترك العطف بالواو لجملة على جملة، ويجرى الفصل وكذلك الوصل عند علماء البلاغة بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب، ولا يعم كل الجمل[١٣].

والوصل عندهم هو عطف جملة لا محل لها من الإعراب على أخرى لا محل لها من الإعراب -كذلك- بالواو (خاصة) كما في قوله تعالى:

﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴾

(الانفطار: ١٣، ١٤)

حيث عطفت جملة ﴿ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ ﴾ على جملة ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ ﴾ بالواو، والجملتان لا محل لهما من الإعراب لأنهما ابتدائيتان.

أما في علوم القرآن فإن المراد من الفصل والوصل: خصوصيات في رسم المصحف الشريف، تختص بفصل

---

(١٣) ينظر دلائل الإعجاز (باب الفصل والوصل) للإمام عبد القاهر الجرجاني.

بعض الحروف أو وصلها في الكتابة بعضها عن بعض، أو بعضها ببعض، وهي خصوصيات كثيرة الوجود في المصحف الشريف.

ومجيؤها موصولة في مواضع، ومفصولة في مواضع أخرى، مع أن الكلمات التي ورد فيها الفصل والوصل واحدة؛ يلفت النظر بشدة، ويثير تساؤلا لحوحًا:

لماذا كان الوصل هنا؟ ولماذا كان الفصل هنا؟

ومن تلك الكلمات -مثلا- ما يأتي:

كلما : كل ما، أينما: أين ما، إنما: إن ما، أنما: أن ما، بئسما : بئس ما.

وغير ذلك كثير، والتساؤل اللحوح الذي يثيره اختلاف الكلمات القرآنية في الرسم على النحو الذي تقدم، يظل صاحبه حائرًا إذا لم يقف على اللطائف والأسرار التي جاء الفصل والوصل رامزًا إليها من طرف خفي.

وهذا الفرع من الدراسة من أهم المباحث التي تضع في أيدينا مفاتيح لفهم كتاب الله العزيز، وتفتح أمامنا آفاقا ونوافذ تقربنا من الاطلاع على خبيئات المعاني في كتاب الله المعجز في ألفاظه ومعانيه، في مفرداته وجمله وتراكيبه، بل وفي طريقة رسم كلماته على الورق، وهو ما أسميناه بـ (الإعجاز الخطي) وإنه لجدير بهذه التسمية.

هذا هو الفصل والوصل في مباحث علوم القرآن الكريم.

وبعد هذا التمهيد نشرع في تفصيل ما أجملناه مستمدين العون والتوفيق من الله.

(كلما - كل ما)

من يقرأ القرآن الكريم، يجد أن (كلما) وهي مركبة من حرفين، موصولة -أعني أن حرف الميم فيها متصل بحرف اللام قبلها، إلا في ثلاثة مواضع فُصل فيها حرف الميم عن حرف اللام، والمواضع الثلاثة هي:

الأول:

﴿سَتَجِدُونَ ءَاخَرِينَ يُرِيدُونَ أَن يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا۟ قَوْمَهُمْ كُلَّ مَا رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُوا۟ فِيهَا ۚ﴾

(النساء: ٩١)

والثاني: في قوله تعالى:

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾

(إبراهيم: ٣٤)

والثالث: في قوله تعالى:

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرَا ۖ كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ ۚ فَأَتْبَعْنَا بَعْضَهُم بَعْضًا وَجَعَلْنَٰهُمْ أَحَادِيثَ ۚ فَبُعْدًا لِّقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾

(المؤمنون: ٤٤)

ومن البدهي أن وصل (ما) بـ(كل) هو الأصل، أما الفصل فهو خلاف الأصل.

وقبل أن نشرع في بيان السر أو السبب في فصل (ما) عن (كل) في هذه المواضع الثلاثة، نذكر موضعًا واحدًا مما وصلت فيه (ما) بـ (كل) ليكون مُعينًا لنا على فهم الفروق بين الحالتين، ذلك الموضع هو قوله تعالى:

﴿ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ رُسُلًا ۖ كُلَّمَا جَآءَهُمْ رَسُولٌۢ بِمَا لَا تَهْوَىٰٓ أَنفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا۟ وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴾

(المائدة: ٧٠)

● والآن نورد هذا السؤال: لماذا فصلت (ما) عن (كل) في المواضع الثلاثة الأولى، ثم وصلت (ما) بـ (كل) في الموضع الرابع؟

والجواب: أن الوصل مع أنه الأصل، يدل على اتصال المعنى في الوجود سواء كان اتصالا ماديًا محسوسًا أو كان اتصالا معنويًا معقولا.

فتكذيب الرسل وقتل بعضهم أو العزم على القتل طبع متأصل في اليهود، سواء في ذلك قدماؤهم قبل الإسلام، والذين كانوا موجودين في عصر الرسالة المحمدية، صلى الله على حاملها وسلم.

من أجل ذلك وصلت (ما) بـ (كل) رمزًا إلى اتصال وصف اليهود بتكذيب الرسل والتمرد عليهم في أي زمان ومكان وجدوا فيهما.

مع ملاحظة أن الحديث في الآية جرى على قوم جنسهم واحد، وعقيدتهم واحدة ولغتهم واحدة.

أما الآية الأولى من الآيات الثلاث التي فصلت فيها (ما) عن (كل) وهي:

﴿كُلَّ مَا رُدُّوٓاْ إِلَى ٱلْفِتْنَةِ أُرْكِسُواْ فِيهَا﴾

فلأن الفتنة مختلفة الأنواع وليست نمطًا واحدًا، مثل الكفر، والمعاصي، والنفاق، يعني أنهم كل ما لاحت لهم ضلالة وانحراف سارعوا وتحملوا آثامها[١٤].

وأما الآية الثانية:

﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾

فقد فصلت فيه (ما) عن (كل) لأن عطاء الله -عز وجل- متفاوت لا جنس واحد: عطاء المال -عطاء الولد - عطاء الصحة والسلامة والمواهب - عطاء الأمن والراحة النفسية... إلخ فلذلك فصلت (ما) ولم توصل بـ (كل).

وأما الموضع الثالث:

﴿كُلَّ مَا جَآءَ أُمَّةً رَّسُولُهَا كَذَّبُوهُ﴾،

فقد فصلت فيه (ما) عن (كل) لأن الحديث جرى على أمم مختلفة ورسل مختلفين متعددين، وغير خاف أن الحديث لما كان عن أمة واحدة في آية المائدة المتقدم ذكرها وصلت (ما) بـ (كل) وهنا اختلفت الأمم ففصلت (ما) عن (كل).

---

(١٤) ينظر الكشاف ١/ ٥٥٢ للإمام الزمخشري.

ومثل آية المائدة قوله تعالى :

﴿كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ﴾

(البقرة : ٢٥)

وصلت (ما) بـ(كل) في هذه الآية الكريمة، التي تتحدث عن نعيم أهل الجنة؛ لأن رزق أهلها متواصل غير مقطوع، لا في الزمان ولا في المكان، كما قال -عز وجل- :

﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾

(الرعد : ٣٥)

وكذلك هو متشابه في صفات الجودة والاستطابة، بدليل قوله تعالى في الآية نفسها :

﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾

لذلك وصلت (ما) بـ (كل) في هذه الآية، ومما يزيد المعنى توضيحا قوله :

﴿يَكَادُ ٱلْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَٰرَهُمْ ۖ كُلَّمَآ أَضَآءَ لَهُم مَّشَوْا۟ فِيهِ﴾

(البقرة : ٢٠)

وصلت (ما) بـ (كل) في آيتنا هذه، لأن مصدر الإضاءة واحد، هو البرق ولأن المشي ملازم للإضاءة.

(إنما. إن ما)

وكما فصلت (ما) عن (كل) في المواضع الثلاثة المتقدم ذكرها، فصلت عن (إن) بكسر الهمزة في موضع واحد في

القرآن كله، وفيما عدا هذا الموضع جاءت موصولة، مثل قوله تعالى:

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴾

(البقرة: ١١)

وقوله تعالى:

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيرًا ﴾

(النساء: ١٠)

وقوله تعالى:

﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴾

(النحل: ٤٠)

وقوله تعالى:

﴿ فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴾

(الغاشية: ٢١)

وهذا كثير جدا في القرآن لا يكاد يحصى، أما الموضع الوحيد الذي جاءت فيه (ما) مفصولة عن (إن) فهو قوله تعالى:

﴿ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾

(الأنعام: ١٣٤)

والسر اللطيف في فصل (ما) عن (إن) في هذه الآية، هو أن (ما توعدون) مفصّل في الحقيقة وفي الواقع؛ لأنه وعد ووعيد:

وعد بالخير للذين أحسنوا باتباع الحق في هذه الحياة الدنيا، ووعيد بالشر للذين أساءوا بمخالفة الرسل فكفروا وعصوا.

فمعنى (ما) مفصول في الوجود؛ لذلك فصلت (ما) عن (إن) في هذه الآية الكريمة.

(أنما - أن ما)

وكذلك توارد الوصل والفصل بين (أن) بفتح الهمزة، وبين (ما).

فقد جاءت (أن) موصولة بـ (ما) في القرآن كله، إلا في موضعين فصلت فيهما (ما) عن (أن) مفتوحة الهمزة.

والموضعان هما:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾

(الحج: ٦٢)

أما الموضع الثاني فهو قوله -عز وجل-:

﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾

(لقمان: ٣٠)

فصلت (ما) عن (أن) في الموضعين، لأن ما يدعونه، يعني يعبدونه من دون الله كائنات متفرقة متعددة:

أصنام - أوثان - نار - كواكب - أهواء - بقر ... وهذا هو الباطل.

أما الحق فهو الله الواحد الأحد من بيده مقاليد السماوات

والأرض، منه المبدأ وإليه المعاد، ولا يشرك في حكمه أحدٌ.

وإلى هذا المعنى أشار يوسف عليه السلام بقوله:

﴿ يَٰصَٰحِبَيِ ٱلسِّجۡنِ ءَأَرۡبَابٞ مُّتَفَرِّقُونَ خَيۡرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ﴾

(يوسف: ٣٩)

ولما كان ما يعبدون من دون الله متفرقين غير موصولين، فصلت (ما) عن (أن) رمزا إلى هذا المعنى اللطيف.

وقد جاءت (ما) موصولة بـ (أن) فيما يشبه هذين الموضعين في قوله -جل شأنه- حكاية عن مؤمن آل فرعون.

﴿أَنَّمَا تَدۡعُونَنِيٓ إِلَيۡهِ لَيۡسَ لَهُۥ دَعۡوَةٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَلَا فِي ٱلۡأٓخِرَةِ ﴾

(غافر: ٤٣)

سر الوصل هنا أن العبد المؤمن جمع بين كل ما يعبد من دون الله في صفة العجز الدائم في الدنيا والآخرة.

(أينما - أين ما)

ومن هذه الكلمات التي توصل بها (ما) وتفصل عنها لاعتبارات لطيفة، كلمة (أينما) والأصل فيها هو الوصل، أما الفصل فيطرأ عليها في بعض المواضع.

وقد جاءت (ما) موصولة بـ (أين) في الرسم القرآني، إلا في ثلاثة مواضع هي:

الموضع الأول: في قوله -جل شأنه-:

﴿ وَقِيلَ لَهُمۡ أَيۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡبُدُونَ ﴾

(الشعراء: ٩٢)

الموضع الثاني في قوله تعالى:

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ﴾

(الحديد: ٤)

والموضع الثالث: في قوله -جل ثناؤه-:

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟ إِلَّا بِحَبْلٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَحَبْلٍ مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾

(آل عمران: ١١٢)

والذي اقتضى فصل (ما) عن (أين) في المواضع الثلاثة، أنَّ ما بعد (ما) مفصول مفترق في الوجود الحسي، وبيان ذلك كالآتي:

في الموضع الأول كان الاستفهام التحسيري عن معبودات المشركين، وهي كائنات متفرقة متعددة مفصولا بعضها عن بعض، وفي الموضع الثاني:

﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾

نجد الأمكنة المدلول عليها بـ(أين) مختلفة في الوجود، وليست مكانا واحدا.

والمعنى: أن الله محيط علما بالعباد مهما تباينت أماكن وجودهم أو تباعدت أو تقاربت.

أما الموضع الثالث:

﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ أَيْنَ مَا ثُقِفُوٓا۟﴾

فهذه الآية وعيد شديد لليهود، وأن الذلة لاحقة بهم في كل الأماكن وليس في مكان دون مكان.

فأنت ترى أن ما بعد (ما) متعدد مختلف مفصول بعضه عن بعض.

ومن أجل هذا فصلت (ما) عن (أين) للدلالة على هذه المعاني البالغة الدقة، قارن هذه المواضع الثلاثة بالمواضع الثلاثة الآتية:

﴿ وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾

(البقرة: ١١٥)

﴿ مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا ﴾

(الأحزاب: ٦١)

﴿ أَيْنَمَا تَكُونُوا۟ يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ ﴾

(النساء: ٧٨)

قارن هذه المواضع الثلاثة بالمواضع الثلاثة التي تقدمت، ثم اسأل نفسك هذا السؤال: لماذا فصلت (ما) عن (أين) هناك؟ ولماذا وصلت هنا؟

والجواب:

تقدم سر الفصل في المواضع الثلاثة الأولى، أما سر الوصل في الثلاثة الثانية، فهو أن معنى ما بعد (ما) في هذه المواضع متصل بعضه ببعض، غير منفصل: فالمعنى في الموضع الأول

﴿فَأَيۡنَمَا تُوَلُّواْ فَثَمَّ وَجۡهُ ٱللَّهِ﴾أن الله موجود في كل مكان، لا في جهة دون جهة.

والمعنى في الموضع الثاني: ﴿أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ أُخِذُواْ﴾الإشارة إلى سنة من سنن الله -عز وجل- في العصاة الكفرة، وهي سنة مطردة بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية مباشرة:

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلُۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبۡدِيلٗا﴾

(الأحزاب: ٦٢)

ولأن الحديث في الآية جرى على قوم مخصوصين وهم المتمردون في المدينة في عصر الرسالة بدليل قوله تعالى:

﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا﴾

(الأحزاب: ٦٠)

أما الوصل في قوله تعالى:

﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾

فلأن المعنى اطراد الموت واستحالة الفرار منه، وقد يقال: إن أماكن الموت مختلفة فكان الأولى: الفصل لا الوصل.

وليس الأمر -كذلك- لأن المعنى المراد هنا ليس تعدد أماكن الموت، بل المراد أن الموت لا ينجو منه أحد، ولا تنفع الحيلة فيه، وهذا المعنى دائم ثابت باختلاف الأزمنة والأمكنة.

(بئسما. بئس ما)

(بئسما) جاءت موصولة بـ (ما) في الرسم القرآني إلا في موضعين جاءت فيهما مفصولة وهما قوله تعالى:

﴿وَتَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

(المائدة: ٦٢)

وقوله تعالى:

﴿تَرَىٰ كَثِيرًا مِّنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾

(المائدة: ٨٠)

والذي اقتضى الفصل في الموضعين كون معنى (ما) مفصلاً في الوجود ففي الآية الأولى

﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾

جاء الفصل إشارة ورمزا للاختلاف في أعمالهم في الوجود المحسوس، وفي الآية الثانية

﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَن سَخِطَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَفِى ٱلْعَذَابِ هُمْ خَٰلِدُونَ﴾

تفصيل لما قدمت لهم أنفسهم وهو نوعان:

- حلول سخط الله بهم في الدنيا.
- خلودهم في العذاب في الآخرة.

ولهذا فصلت (ما) عن (بئس).

قارن هذين الموضعين بالمواضع الثلاثة الآتية:

﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ (البقرة: ٩٠)

﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٩٣)

﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾ (الأعراف: ١٥٠)

إن كل أمثلة بئس ترد في مقام الذم، كما أن التركيب اللغوي في الآيات كلها التي وردت فيها (بئس) تركيب واحد في النطق وفي الأحرف المكون منها هذا التركيب، وكل ما بين هذه الصياغات من فروق هي مجيء (ما) مفصولا أو موصولا.

فما سر الوصل في هذه الآيات الثلاث بعد أن عرفنا سر الفصل في الآيتين الأوليين؟

الجواب:

إن سر الوصل في هذه الآيات الثلاث هو الرمز إلى أن المعنى الذي بعد (ما) أو المعنى الذي أومأ إليه التركيب واحد متصل، لا متعدد ولا منفصل.

فهو في الآية الأولى الكفر: ﴿أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾.

وفي الآية الثانية هو حبهم -أي اليهود- عبادة العجل.

وفي الآية الثالثة هو اتخاذ اليهود العجل إلها يعبد من دون الله، بينما كان موسى يتلقى الألواح من ربه.

لذلك وصلت (ما) بـ (بئس) لأن المعنى في هذه التراكيب الثلاثة موصول في الوجود الذهني (المعنوي) والحسي (المادي).

(يومهم - يوم هم)

الفصل جاء في قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾

(الذاريات: ١٣)

وفي قوله تعالى:

﴿ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴾

(غافر: ١٦)

أما الوصل فقد جاء في قوله تعالى:

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴾

(الزخرف: ٨٣)

وقوله تعالى:

﴿ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴾

(الطور: ٤٥)

تأمل هذه الآيات الأربع، واجتهد أن تعرف لماذا كان ذلك الفصل والوصل بين (يوم) وبين (هم) فيها؟

إذا أحسنت التأمل في مثالي الفصل والوصل في الآيات الأربع وجدت أن السبب في الفصل في الآيتين الأوليين أن الضمير (هم) فيهما ركن من أركان الجملة (ومسندا إليه) يعني (مبتدأ) في اصطلاح النحويين، وما بعده خبر أو (مسند) وهو في الآية الأولى، الجار والمجرور ﴿عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴾.

وفي الآية الثانية:

﴿بَـٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ﴾

وركن الجملة عمدة في الكلام، سواء كانت الجملة اسمية أو فعلية.

لذلك جاء الفصل في الآيتين الأولى والثانية للدلالة على هذا المعنى، ولم يجئ عبثا خاليا من الدلالة، كما يتوهم قصار النظر، الذين يدعون إلى إعادة كتابة المصحف الشريف على قواعد الرسم الإملائي الحديث.

أما سبب الوصل فإن التأمل الصائب يهديك إلى أن الضمير (هم) ليس ركنا من أركان الجملة التي وصل فيها بما قبله (يوم) بل هو مضاف إليه، ويوم هو المضاف، والمضاف إليه تابع للمضاف دائمًا.

تأمل قوله تعالى:

﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَـٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾

(الطور: ٤٥)

ثم قوله تعالى:

﴿ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴾

(الزخرف: ٨٣)

تجد (يوم) مضافا و(هم) مضافا إليه، وأن الضمير (هم) في الآيتين جزء من الكلمة التي هو فيها.

وجزء الكلمة يوصل بها ولا يفصل عنها، هذا حكم القواعد، وحكم الذوق والإحساس المرهف بالجمال، لهذا كان الوصل بين (يوم) و(هم) في هاتين الآيتين.

وكان هذا الفصل ضروريا لا اختياريا، وبقيت لمحتان: إحداهما نحوية والأخرى بلاغية.

أما النحوية: فإن (هم) في الآيتين اللتين فصل فيهما (هم) عن (يوم) هو ضمير مبني على السكون في محل رفع، لأنه مسند إليه (مبتدأ).

أما في الآيتين اللتين وصل فيهما (هم) بـ(يوم) فهو مبني على السكون في محل جر؛ لأنه مضاف إليه، والمضاف إليه مجرور بالإضافة دائما.

أما اللمحة البلاغية: فتتضح بتقديم هذا السؤال والإجابة عليه:

السؤال: لماذا خُصص (يوم) بالضمير (هم) ولم يجعل يوما عاما؟

والجواب: إن في هذا التخصيص زيادة زجر وتهويل لشأن

المتحدث عنه، وهم الكافرون العصاة العتاة.

هذا التخصيص يشير إلى أن ذلك كأنه لا يقع فيه إلا عقاب أولئك الناس، من فتنتهم على النار، ومن صعقهم وهلاكهم، ووقوع كل ما أوعدوا به من سوء المصير.

وهذه اللمحة البلاغية تضاف إلى دلالة الوصل المتقدم ذكره، وجهل بعض الناس بهذه الدلالات هو حجة عليهم، ولا يمكن أن يكون ذلك الجهل معيارا نحاكم به الرسم القرآني المعجز للإنس والجن.

انفصال (ما) عن (في) (فيما- في ما)

ومن صور هذا الفصل: انفصال (ما) عما قبلها في آيات الذكر الحكيم، وقد أحصى أهل العلم أحد عشر موضعا في القرآن الكريم[١٥]، فصلت فيها (ما) عما قبلها كما هو واضح في النماذج الآتية:

(١) ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾

(البقرة: ٢٤٠)

فصلت (ما) عن حرف الجر (في) قبلها ولم توصل به،

(١٥) انظر المقنع لأبي عمرو الداني ٧٧ مكتبة الكليات الأزهرية ط ١٩٧٨م.

كما وصلت في مواضع أخرى في الرسم القرآني، منها قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾

(البقرة: ٢٣٤)

الآيتان- كما ترى- في سورة واحدة، تفصل بينهما خمس آيات.

والموضوع الذي وردتا فيه واحد، هو عدة الزوجة المتوفى عنها زوجها، وألفاظ الآيتين تكاد تكون واحدة.

ومع ذلك جاءت (ما) مفصولة عن (في) في آية، وموصولة بـ(في) في آية أخرى، وهذا يدعو إلى التساؤل عن السبب في هذا الاختلاف.

وطريق التوصل إلى معرفة السبب في فصل ما فُصل، ووصل ما وُصل في الآيتين هو التأمل في سياق الكلام الوارد فيه الفصل والوصل.

هذا التأمل يكشف لك النقاب عما خفي من أسرار، وهذا يظهر من التحليل الآتي:

أن فصل (ما) عن (في) في الآية الثانية يرجع إلى اعتبارين:

الأول: أن كلمة (معروف) جاءت منكرة، ومعروف أن التنكير لا يدل على (مُعين) بل يدل على كثيرين دلالة

عامة، إما على سبيل الجمع، أو على سبيل البدل.

فكلمة (من معروف) في الآية المراد بها تعدد صور المعروف وتفاوتها في الوجود وتعدد صور المعروف المفهوم من الآية له تفصيل في الوجود، وليس شيئا واحدا فبين صوره انفصال لا اتصال، لذلك لم توصل (ما) بـ(في) في الآية الكريمة لعدم اتصال أفراد (من معروف) في الواقع.

وهذا ما أشار إليه أهل العلم المشتغلين بعلوم القرآن[١٦].

أما الاعتبار الثاني: فإن هذه الآية تتحدث عن (معروف) تفعله الزوجة في نفسها قبل تمام مدة العدة، بدليل قوله تعالى في الآية نفسها:

﴿مَّتَـٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ۚ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِى مَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ ﴾

ومعنى هذا أن الزوجة تكون حريصة على عدم الإسراف في ممارسة الزينة ما دامت في عدتها، تمارسها في بعض الأوقات، وتتركها في بعض الأوقات مما يجعل تزينها غير متصل.

أما سبب الاتصال في قوله -عز وجل-:

﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِىٓ أَنفُسِهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾

فهو كنظيره في الآية السابقة، من حيث إن سبب الوصل بين (في) و(ما) يرجع إلى اعتبارين:

الأول: أن (المعروف) فيها جاء معرفا بأداة التعريف

---

(١٦) انظر البرهان في علوم القرآن ١/ ٤٣٠.

(الألف واللام) والتعريف يدل على شيء واحد معين فهو -إذن- معروف واحد ليس له أفراد مفصول بعضها عن بعض، لذلك وصل بينه وبين حرف الجر (في).

الثاني: أن هذا المعروف الذي تتحدث عنه الآية الكريمة مقصور على ما تفعله الزوجة المتوفى عنها زوجها بعد تمام مدة العدة، وهي أربعة أشهر وعشر ليال وهي مأذون لها شرعا بالتزين بعد تمام العدة.

ومعنى هذا أن هذا المعروف، الذي لا حظر فيه شرعا من شأنه أن يكون ظاهرا تفعله الزوجة في جميع الأوقات بلا حرج عليها.

ودليل هذا قوله -عز وجل- في الآية ﴿فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ ﴾أي قضين مدة العدة وخرجن من المحظور إلى المباح.

تأمل -عزيزي القارئ- هذه الدلالات التي تشع في لطف من اختلاف الرسم القرآني في كلمة جاءت في أحد الموضعين على رسم خطي، وجاءت في الموضع الآخر على رسم خطي آخر.. تأمل هذا وقل للذين يدعون إلى إعادة رسم المصحف على قواعد الرسم الإملائي الحديث، أعيدوا نظركم في هذه الدعوة، واجثوا على ركبكم أمام روعة الكتاب العزيز في مفرداته وجمله وتراكيبه ورسمه ومعانيه، فإنه معجز بكل ما هو عليه منذ عصر نزوله وتدوينه، وإلى أن يقوم الناس لرب العالمين.

(٢) ﴿ وَلَٰكِن لِّيَبۡلُوَكُمۡ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمۡۖ فَٱسۡتَبِقُواْ ٱلۡخَيۡرَٰتِۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا ﴾

(المائدة : ٤٨)

فُصلت (ما) عن (في) في هذه الآية الكريمة لانفصال معناها في الوجود عما بعدها ، وهو مدلول ضمير الخطاب (الكاف) لأن المخاطبين وهم الناس شيء والنعم التي آتاهم الله إياها شيء آخر ، فالنعم مملوكة للمخاطبين ، وغير موصولة بذواتهم وصلا عضويا .

لذلك فُصلت (ما) عن (في) للدلالة على هذا المعنى .

(٣) ﴿ قُل لَّآ أَجِدُ فِي مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٖ يَطۡعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيۡتَةً أَوۡ دَمٗا مَّسۡفُوحًا أَوۡ لَحۡمَ خِنزِيرٖ فَإِنَّهُۥ رِجۡسٌ أَوۡ فِسۡقًا أُهِلَّ لِغَيۡرِ ٱللَّهِ بِهِۦۚ ﴾

(الأنعام : ١٤٥)

هذا الموضع قد يبدو مجافيا لقاعدة الفصل التي تقدم الحديث عنها في تحليل الشواهد التي تقدمت ، ولذلك فإنها تحتاج منا إلى دقة نظر ، لأن لقائل أن يقول : لا فصل في الوجود الخارجي بين معنى (ما) وبين الوحي ، بل بينهما اتصال وطيد ، كان يقتضي أن تأتي (ما) موصولة بـ(في) لا مفصولة عنها ، ودفع هذا القول ميسور ؛ لأن المراد ليس الفصل بين (ما) ووحي الله إلى رسوله الكريم ﷺ بل المراد هو الفصل بين معنى (ما) وبين ورود التحريم الزائد على

الأصناف التي ذكرها القرآن الحكيم بعد أداة الاستثناء (لا).

وهذا التحريم الزائد لا وجود له في الوحي الإلهي، فضلا عن كونه مفصولا أو موصولا، فهو تحريم معدوم، فهو إذن مفصول قطعا عن الوحي، فصل انعدام لا فصل وجود[١٧].

وبهذا التوجيه يزول ذلك الوهم، الذي قد يتبادر إلى بعض الأذهان، ويصبح إعمال قاعدة الفصل بين (ما) وحرف الجر (في) سائغا مقبولا.

(٤) ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾

(الأنعام: ١٦٥)

وتحليل هذا الشاهد هو تحليل الشاهد الذي قبله، حيث جاء فصل (ما) فيه عن حرف الجر (في) لانفصال الأمرين -النعم والمخاطبين عن بعضهما في الوجود الخارجي-.

والابتلاء هو الاختبار والامتحان، وليس إنزال البلايا والكوارث كما قد يتبادر إلى الذهن.

(٥) ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِى مَا ٱشْتَهَتْ أَنفُسُهُمْ خَٰلِدُونَ﴾

(الأنبياء: ١٠٢)

والسبب في الفصل ظاهر، لأن شهوات النفس ليست شيئا

---

(١٧) الفصل نوعـــان: فصل وجود بين كائنين كل منهما مفصول عن الآخر، وفصل عدم أو انعدام كفصل الموجودات عن المعدومات التي لا وجود لها.

واحدا، بل هي أمور مختلفة متعددة، لذلك فصل (ما) عن حرف الجر (في) وهكذا ترى قاعدة الفصل مطردة ملحوظة في كل ما ورد في القرآن مفصولا فيه، (ما) عن حرف الجر (في) وفي ذلك ذكرى لمن كان له قلب، أو ألقى السمع وهو شهيد.

(٦) ﴿ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴾

(النور: ١٤)

هذه الآية تتحدث في إطار مواجهة القرآن لحديث (الإفك) الذي أشيع حول أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها-[١٨].

وقد جاءت (ما) فيها مفصولة عن (في) كما ترى.

وسبب الفصل أن ما أفاض فيه المخاطبون، وهو حديث الإفك والافتراء على ربة العفاف والطهر عائشة- رضي الله عنها- هذا الحديث شيء منفصل قائم بذاته، وكذلك المخاطبون في الآية الحكيمة هم شيء آخر مستقل قائم بذاته، وهذا الانفصال بين حديث الإفك والافتراء، وبين المخاطبين هو سبب الفصل بين (ما) و(في) في الرسم القرآني الشريف.

وبقيت لمحة بلاغية دلّ عليها الفصل بين (ما) و(في) في هذا الموضع، تلك اللمحة هي الإيماء بأن هذا (الإفك)

---

(١٨) انظر حديث الإفك في كتب التفسير في تفسير سورة النور.

ينبغي على المؤمنين أن يتبرءوا منه حالا ويطهروا منه ألسنتهم، وألا يكون لهم أي صلة به.

ويؤكد هذا أن سياق الآيات التي واجهت هذه الفرية الشنيعة، حذرت الناس من الوقوع فيه، ودعتهم إلى إعدامه، وتجنب الخوض فيه، بدليل قوله -عز وجل-:

﴿ يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثۡلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ﴾

(النور: ١٧)

(٧) ﴿ أَتُتۡرَكُونَ فِي مَا هَٰهُنَآ ءَامِنِينَ ﴾

(الشعراء: ١٤٦)

جاءت (ما) مفصولة عن (في) في رسم المصحف الشريف، وهذا خلاف الأصل، الذي جاءت عليه كثير من الآيات.

وهو - كما تقدم- رمز إلى معنى لطيف، وهو وقوع الفصل الخارجي بين معنى (ما) ومعنى ما بعده.

فالآية -كما ترى- استهلت بالاستفهام الإنكاري وهو (أتتركون) ومعناه النفي، أي: لا تتركون آمنين في هذه الحياة الدنيا، والحياة الدنيا هي المشار إليها في (ههنا) فالمعنيان مفصولان في الوجود الخارجي غير موصولين، فهو فصل بين المخاطبين وهم قوم صالح عليه السلام الذين كذبوه وعصوه، وبين خلودهم آمنين في الحياة الدنيا، هذا الفصل الحاصل بين الأمرين في الوجود كان هو السبب في فصل

(ما) عن (في) في الرسم القرآني المعجز.

(٨) ﴿ ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾

(الروم: ٢٨)

هذه الآية مضروبة مثلا لجعل المشركين أصنامهم مساوية لله في القدرة والتصرف والنفع والضر، فساق الله هذا المثل لإبطال عقيدة الشرك من جذورها؛ لأن المشركين لا يرون عبيدهم وإماءهم شركاء لهم في أموالهم[١٩].

وقد فصلت (ما) عن (في) في الرسم القرآني لانفصال المعنى في الوجود، إذ لا اتصال في الوجود بين المشركين وبين عبيدهم وإمائهم، لأن مالك العبد أو الأمة ذات مستقلة قائمة بنفسها، وكذلك العبيد والإماء المملوكون هم ذوات تشغل حيزا في الفراغ، غير الحيز الذي يشغله مالكوهم، لذلك فصلت (ما) عن حرف الجر (في) هكذا ﴿فِى مَا﴾ وهذا الفصل الحسي المادي بين المالكين والمملوكين

(١٩) هذا من فصل الموجودات حقيقة، لأن كلا من المالكين والمملوكين كائنات موجودة، كل منهما مفصول في الواقع عن الآخر، وانظر تفسير هذا المثل مفصلا في كتب التفسير وبخاصة كشاف الزمخشري، تفسير سورة الروم.

يؤازره فصل معنوي، هو علو درجة المالك ودنو درجة المملوك[20].

(٩) ﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴾

(الزمر: ٣)

(١٠) ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَـٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَـٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾

(الزمر: ٤٦)

وإجراء هذا الفصل بين (ما) و(في) على قاعدة الفصل المتقدم ذكرها سهل وميسور، لأن اختلاف العباد شيء معتبر في الذهن، ليس له حيز يشغله في الفراغ (أمر معنوي معقول، لا مادي محسوس)، وأما العباد فهم شيء آخر غير متصل حسيا بالخلاف.

هذا هو معنى قاعدة الفصل في الرسم القرآني بين (ما) وحرف الجر (في).

وبقي ملمح آخر يحتاج إلى إعمال الفكر، وهو معزز آخر لقاعدة الفصل وسيلحظ من الاعتبار الزمني على أساس أن حكم الله بين العباد في الأمور التي اختلفوا فيها سيكون يوم

---

(٢٠) وانظر كذلك (الآية: ٤٦) من سورة الزمر.

يقوم الناس لرب العالمين، أما الاختلاف نفسه فقد وقع في الحياة الدنيا، فزمان وقوع الاختلاف سابق في الوجود على زمن حكم الله فيه.

فتأمل هذه الدقائق الآسرة، التي يدل عليها اختلاف الرسم القرآني في المواضع المتشابهة أو المتحدة في اللفظ والنطق، المختلفة في الرسم الخطي فقط، تأمل هذا لتزداد يقينا بأن رسم المصحف الشريف وجه من وجوه إعجازه الباهر.

(١١) ومن صوره قوله -جل ثناؤه-:

﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ (٦٠) عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾

(الواقعة: ٦٠، ٦١)

ولا أرى القارئ الكريم في كبير حاجة إلى توجيه الفصل بين (ما) و(في) في هذه الآية، لأن ما تقدم يغنيه عن التكرار، وأيا كان الأمر فإن قاعدة الفصل تتجلى في هذه الآية في أنصع صورها، لأن فاصلة الآية (لا تعلمون) تدل على سر الفصل بكل وضوح.

لأن الفاصلة تنفي علم المخاطبين بما يمكن أن ينشئهم الله فيه إذا أراد، وكفى بالجهل فاصلا بين الجاهل والمجهول.

وقبل التوقف عن هذا الحديث نضع بين أيدي القراء الكرام سمة أسلوبية تندرج تحتها مواضع الفصل الأحد عشر، تلك السمة هي:

أن (ما) في هذه المواضع جميعها اسم موصول بمعنى الذي، وأن ما بعده في جميع صوره جملة فعلية هي صلة هذا الموصول.

ثم: ها أنت قد وقفت على الخفايا والأسرار اللطيفة التي دل عليها كل موضع فصلت فيه (ما) عن (في) في الرسم القرآني المعجز، الذي يدعي (البعض) أنه خال من كل دلالة، كبرت كلمة تخرج من أفواههم.

فصل نون (أن) عن (لا) النافية إذا اجتمعتا، هكذا: (أن لا):

ونحيط القراء الكرام علما بأن هاتين الكلمتين قد وردتا في آيات الذكر الحكيم مجتمعتين كثيرًا، وأن الأصل في نون (أن) أن تدغم في (لا) بعدها، يعني أنها تسقط في الخط فلا يكون لها وجود فيه إلا في عشرة مواضع نص عليها العلماء فإن نون (أن) تظهر في الخط ولا تحذف، وذلك بإجماع القراء جميعا.[21]

والقاعدة التي روعيت في هذا الفصل -فصل النون عن لا النافية- قاعدة واحدة مطردة في جميع المواضع العشرة، الآتي ذكرها مفصلة، وهي:

صدق توكيد المعنى المدلول عليه في هذه المواضع،

---

(٢١) انظر المقنع في رسم مصاحف الأمصار مع كتاب (النقط) ص٧٣ لأبي عمرو الداني، والبرهان في علوم القرآن ١/ ٤٢٠ للإمام الزركشي.

مع ملاحظة تكذيب من يدعي نفي ثبوت المعنى في الوجود الخارجي.

وسوف يتضح للقراء الكرام اطراد هذا الصدق الذي جيء بنون (أن) مفصولا في الخط عن (لا) رمزا إلى توكيده، وهو المعنى اللطيف الدقيق من هذه الخصوصية التي يظن بعض الواهمين أنها تخلو من أية دلالة، وجهل من جهل بها لا يصلح أن يكون مقياسا لفهم كتاب الله العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، تنزيل من حكيم حميد.

وإليكم الحديث عن هذه المواضع العشرة واحدا واحدا وبالله ومن الله التوفيق.

الموضع الأول:

﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾

(الأعراف: ١٠٥)

هذه الآية الكريمة طرف من حوار جرى بين نبي الله موسى عليه السلام وبين عدو الله فرعون.

(أن) الناصبة للفعل المضارع، جاءت في الآية لها صورة في الرسم القرآني، ولم تدغم خطا في (لا) النافية بعدها.

وفصل النون عن (لا) رمز إلى أن موسى عليه السلام لأنه رسول من رب العالمين، لن يتقول على الله، ولن ينسب إليه باطلا مهما علا فرعون وطغى هذا ما كان في نفس موسى عليه السلام نية صادقة وعزم مبرم على التزام قول الحق.

ومعروف أن موسى يخبر عن نفسه بهذا الكلام، والخبر إذا اقترن ببعض أساليب التوكيد قوي وعلا سلطانه، وأسلوب التوكيد -هنا- خاص ببيان القرآن ولغته وهو -كما علمت- فصل نون (أن) عن (لا) النافية بعدها، فتأمل هذا البيان الرائع، فهذا التوكيد المعجز فيه تكذيب من جهة أخرى لمن يدعي أو يتوهم أن موسى عليه السلام ما كان يريد حقيقة ما قال.

الموضع الثاني:

﴿ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٞ وَرِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ يَأۡخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا ٱلۡأَدۡنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغۡفَرُ لَنَا وَإِن يَأۡتِهِمۡ عَرَضٞ مِّثۡلُهُۥ يَأۡخُذُوهُۚ أَلَمۡ يُؤۡخَذۡ عَلَيۡهِم مِّيثَٰقُ ٱلۡكِتَٰبِ أَن لَّا يَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّ وَدَرَسُواْ مَا فِيهِۗ وَٱلدَّارُ ٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ﴾

(الأعراف: ١٦٩)

هذه الآية الكريمة تقص طرفا من مساوئ بني إسرائيل (اليهود) وعبادتهم لمطامعهم في الحياة الدنيا، ونقضهم المواثيق المغلظة التي أخذها الله -عز وجل- عليهم، وأنت تلاحظ أن نون (أن) ظهرت في الخط، ولم توصل بـ(لا) بعدها.

وتقدم أن هذا النهج يرد في رسم المصحف زيادة في توكيد المعنى من طرف خفي وهو نهج خاص بالبيان القرآني ولغته المعجزة.

فما هو المعنى الذي أريد توكيده في هذه الآية؟ هل هو

التزام بني إسرائيل بقول الحق في جانب الله باعتبار أن هذا الالتزام سلوك خلقي سلكوه في الحياة؟

كلا، لأن بني إسرائيل كان دأبهم الكذب على الله -عز وجل- إلا الصالحين منهم، وقليل ما هم، بل إن المعنى المراد توكيده وصدقه في الوجود، هو كون الله -عز وجل- أخذ عليهم المواثيق المغلظة، أما سلوك بني إسرائيل الواقعي فهذا شيء آخر، خارج عن إطار هذا التوكيد.

بدليل أن الآية نفسها سجلت من مساوئهم ما تقشعر منه الجلود، وتخر منه الجبال الرواسي.

قارن هذا الموضع بالموضع الذي تقدم ترَ القاعدة في فصل نون (أن) عن (لا) مطردة وأن هذا الفصل لم يأت عبثا كما يتوهم المبطلون.

الموضع الثالث:

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾

(التوبة: ١١٨)

هذه الآية الكريمة تتحدث عن ثلاثة من أصحاب رسول الله ﷺ تخلفوا عنه في غزوة تبوك بلا عذر يبيح لهم التخلف

عن الخروج غزاة في سبيل الله[٢٢]، والملاحظ أن نون (أن) فصل عن (لا) وهذا الفصل جاء رمزا إلى توكيد الظن الذي ظنه هؤلاء الثلاثة، حين ندموا على ما بدر منهم وسدت في وجوههم الطرق وضاقت الأرض بهم على اتساعها، حتى أنفسهم التي بين جنباتهم ضاقت عليهم، هنا كاد اليأس يستبد بهم، وأدركوا أن خروجهم من الكرب الذي هم فيه ليس له مفرج إلا الله -عز وجل- الذي وسعت رحمته كل شيء، فصدقوا في توبتهم، فتاب الله عليهم.

مع ملاحظة أن (أن) هنا، ليست هي الناصبة للمضارع بل هي (أن) المخففة من الثقيلة[٢٣].

الموضع الرابع

﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

(هود: ١٤)

نزلت هذه الآية الحكيمة في معرض التحدي بإعجاز القرآن الكريم، حيث أمر الله رسوله الكريم ﷺ أن يقول لمنكري

---

(٢٢) انظر قصة هؤلاء الثلاثة في سيرة ابن هشام :غزوة تبوك، وفي كتب التفسير: تفسير سورة التوبة. وفي زاد المعاد لابن قيم الجوزية: غزوة تبوك.

(٢٣) (أن) المخففة من الثقيلة هي (أن) بتشديد (النون) وأصلها (أنه) يحذف منها اسمها في بعض الاستعمالات. وهو (الهاء) ضمير المفرد الغائب وعلامتها الضمير فيها لا مرجع له سابق في الكلام. ويسمى (ضمير الشأن) ومنها في القرآن: ﴿عَلِمَ أَن سَيَكُونُ مِنكُم مَّرْضَىٰ﴾ (المزمل: ٢٠) ومواضع أخرى.

نزول القرآن من عند الله، المدعين أنه من كلام البشر أن يقول لهم: إن زعمتم أن القرآن ليس كلام الله، وأنه من كلام البشر فأنتم بشر، فأتوا بعشر سور مثله مفتريات.

ثم يرتب الله على عجزهم من الإتيان بمثل هذا القرآن ثلاثة أمور:

● الأمر الأول: حصول العلم اليقيني بأن القرآن نزل بعلم الله وحده.

● الأمر الثاني: العلم اليقيني بأن الوجود يخلو من إله إلا الله -عز وجل-.

● الأمر الثالث: حصول الانقياد والاستسلام الكامل لله -عز وجل-.

والآية التي قبل هذه الآية مباشرة هي قوله تعالى:

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾

(هود: ١٣)

وقد، جاء نون (أن) مفصولة عن (لا) التي بعدها، وهذا الفصل مرموز به في لطف إلى صدق المعنى وقوة توكيده، وأنه معنى ثابت لا يتطرق إليه شك، ولا يقبل جدلاً.

والمعنى الذي قصد توكيده -هنا- هو إنزال القرآن بعلم الله -عز وجل- و(أن) هي المخففة من الثقيلة كما تقدم.

الموضع الخامس:

﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾
(هود: ٢٦)

هذه الآية الكريمة حكاية لما قاله نوح عليه السلام لقومه، و(أن) فيه هي الناصبة للفعل المضارع، لكن حذف (النون) من الفعل المضارع بعدها ليس من عمل (أن) بل من عمل (لا) الناهية، فالفعل الذي بعدها: (تعبدوا) مجزوم بـ (لا) الناهية، وليس منصوبًا بـ (أن).

ويجوز أن تكون (أن) في هذه الآية تفسيرية، ويكون تقدير المعنى معها: ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ﴾ وأيًا كان التقدير: فإن نون (أن) فصلت عن (لا) الناهية بعدها في الخط وهذا الفصل إشارة موحية إلى صدق المعنى وصحة توكيده، يعني أن نوحًا عليه السلام قال هذا القول لقومه يقينًا لا ريب فيه.. أما قوله بعده: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴾ فهو تعليل لنهيه إياهم أن يخصوا أحدًا غيره سبحانه بالعبادة.

وحتى الآن، فأنت ترى أن تطبيق قاعدة فصل نون (أن) عن (لا) التي بعدها في المواضع الخمسة التي تقدمت لم يشذ واحد منها، أو تعترض تطبيق القاعدة صعوبة، أو يشوبه هذا التطبيق تكلفة ومماحكة.

الموضع السادس:

﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلْبَيْتِ أَن لَّا تُشْرِكْ بِى شَيْـًٔا

﴿ وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴾

(الحج : ٢٦)

هذا من كلام الله -عز وجل- مع إبراهيم عليه السلام وقد اشتملت هذه الآية على خبر ونهي وأمر، فالخبر: هو إعلام الله الناس أنه كشف وجلى لنبيه إبراهيم عليه السلام مكان بيته المحرم بمكة المكرمة، وأما النهي: فهو عن الإشراك بالله -عز وجل- والأمر: هو تكليف إبراهيم بتطهير البيت الحرام لزواره ومعظميه.

والذي ورد في سياق (أن) و(لا) هو النهي عن الإشراك بالله، وهو المعنى المراد التنويه بصدقه وصحة توكيده، يعني حصول عدم الإشراك بالله -عز وجل-.

فجاء فصل النون (أن) عن (لا) موحيًا بهذا التوكيد.

أي لا يكن منك إشراك بالله أبدًا، وإبراهيم -عليه السلام- لا يتوقع منه إشراك بالله؛ لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم معصوم، وإنما تضمن هذا النهي الذي خاطب الله به إبراهيم -عليه السلام- النهي للناس قاطبة سواء من استجاب منهم، أو من أعرض ونأى؛ فمن استجاب فله الحسنى، ومن أعرض كان من أصحاب النار.

الموضع السابع:

﴿ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾

(يس : ٦٠)

هذه الآية الكريمة من الخطاب العام الذي سيقوله الله تعالى لعباده من البشر يوم القيامة، ودليل عمومية هذا الخطاب أن المنادى فيه هو: (بنو آدم) أي يشمل النداء هنا مؤمنهم وكافرهم، طائعهم وعاصيهم.

ومعنى ﴿أَعۡهَدۡ إِلَيۡكُمۡ﴾ آخذ عليكم العهد بأن تؤمنوا بي وتخصوني بالعبادة، ولا تعبدوا الشيطان لأنه عدو ظاهر لكم.

وفي هذا الخطاب العام الذي سيكون يوم القيامة تذكير للناس بما قدمه الله لهم من نصح يقيهم عذاب النار، وتحسير للذين لم يستجيبوا ولم يفوا بعهد الله.

وقد فصلت نون (أن) عن (لا) الناهية بعدها لإشارة شديدة اللطافة إلى صحة المعنى وتوكيده، وهو ترك عبادة الشيطان، والإقبال على عبادة الله وحده.. جدير بنا أن نعلم أن توكيد الخبر غير توكيد الأمر والنهي، لأن توكيد الخبر معناها صدق وقوعه قبل الإخبار به.

أما توكيد الأمر والنهي فهو وجوب امتثالهما من قبل المأمور والمنهي.

والذي في آيتنا هذه نهي عن عبادة الشيطان، يعني: طاعته فيما يدعو إليه من شرور، وليس المراد بعبادة الشيطان أن تصلي وتصوم له، فهذا غير مراد.

وهذه الآية -مثل ما تقدم - ترى تطبيق قاعدة فصل نون

(أن) عن (لا) سائغًا ميسورًا، والاستفهام في قوله تعالى:

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ﴾

استفهام تقريري معناه الإثبات، أي عهدت إليكم، ومعناها العام إقامة الحجة لله على الناس، وأن من اتبع الشيطان منهم فقد ظلم نفسه، وأما الله -عز وجل- فلم يظلم أحدًا من الناس؛ لأنه أرسل رسله مبشرين ومنذرين، وقد قدم للناس الوعيد.

وإيثار أن يكون المنادى هو (بني آدم) دون (يا أيها الناس) مثلا هو شدة التناسب والتلاؤم بين المنادي (بني آدم) وبين العهد الذي أخذه الله على الناس جميعًا في بدء خلق البشر، كما ورد في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ (الأعراف: ١٧٢)

الموضع الثامن:

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ﴾

(الدخان: ١٩)

هذا من كلام موسى عليه السلام لفرعون وقومه ينهاهم عن التعالي والتعاظم عليه، لأن في هذا التعالي والتعاظم إعراضًا عن دعوة التوحيد التي جاء بها عليه السلام إليهم.

ورسالة موسى عليه السلام لفرعون وقومه كانت ذات شقين:

- الأول: دعوتهم إلى عقيدة التوحيد، وأن لا إله إلا الله -عز وجل-.

وهذا هو الجانب الديني في رسالته المبكرة إلى فرعون وقومه.

● الثاني: جانب اجتماعي سياسي، وهو إطلاق سراح بني إسرائيل، ورفع الاضطهاد عنهم، الذي كان يمارسه معهم فرعون وقومه، مع السماح لموسى عليه السلام بخروج بني إسرائيل من مصر إلى أرض فلسطين ليعبدوا الله فيها أحرارًا غير مقهورين من فرعون وقومه؛ فرفض فرعون الشقين معًا، وظل يزعم أنه إله قومه رافضًا -كذلك- خروج بني إسرائيل من مصر.

والمعنى المراد تقريره وصدقه وصحة توكيده هو: إذعان فرعون وقومه لامتثال ما نهاهم عنه موسى عليه السلام من ترك التعالي والتعاظم عليه؛ لأنه رسول من عند الله مؤيد بالمعجزات.

الموضع التاسع:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ يُبَايِعۡنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشۡرِكۡنَ بِٱللَّهِ شَيۡـٔٗا وَلَا يَسۡرِقۡنَ وَلَا يَزۡنِينَ وَلَا يَقۡتُلۡنَ أَوۡلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأۡتِينَ بِبُهۡتَٰنٖ يَفۡتَرِينَهُۥ بَيۡنَ أَيۡدِيهِنَّ وَأَرۡجُلِهِنَّ وَلَا يَعۡصِينَكَ فِي مَعۡرُوفٖ فَبَايِعۡهُنَّ وَٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُنَّ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ﴾

(الممتحنة: ١٢)

هذه الآية الكريمة تتحدث عن بيعة النساء المؤمنات لرسول الله ﷺ، وقد فصلت الآية العناصر التي انعقدت عليها البيعة وهي:

● عدم الإشراك بالله.

- اجتناب السرقة.
- اجتناب الزنى.
- اجتناب قتل الأولاد.
- اجتناب البهتان، فلا تكذب المرأة فتنسب ولدًا إلى غير زوجها وهي تعلم أنه ليس من إنجابه -التدليس في النسب-.
- عدم معصية رسول الله ﷺ إذا أمر بمعروف، أو نهى عن منكر.

وكما ترى أن النهي عن الإشراك بالله يتصدر هذه العناصر جميعًا، لفظاعته ولأنه أساس صحة وقبول الأعمال الصالحة التي ذكرت ضمن عناصر البيعة بعده.

وهذه العناصر كلها، واقعة في حيز التوكيد المدلول عليه بفصل نون (أن) عن (لا) التي بعدها، ولكن ما المعنى الذي أريد توكيده على التحديد الدقيق؟

إن إمعان النظر في سياق الكلام يفيد أن هذا المعنى هو: كون بيعة النساء المؤمنات للنبي ﷺ ينبغي أن تكون جازمة لا تردد فيها أبدًا، يعني قوة العزم عند المبايعات، وصدق النية هو المطلوب منهن من جهة، وهو الشرط الرئيسي في قبول تلك المبايعة عند الله، وما يترتب على ذلك مما ذكره الله مخاطبًا لرسوله الكريم ﷺ من جهة ثانية وهو:

- فبايعهن: أي: اقبل مبايعتهن ولا تردها.
- واستغفر لهن الله.

إذن، فالتوكيد ليس مقصورًا على عدم الإشراك بالله -عز وجل- وإن كان هو الأساس في صحة تلك المبايعة، وما يترتب عليها.

ولكنه يشمل بقية العناصر التي نصت عليها الآية الكريمة.

ومن البداهة أن (لا) الأولى، الداخلة على الفعل (يشركن) هي (لا) النافية وكذلك ما عطف عليها في التراكيب التي سردت بعدها، وهكذا تطرد قاعدة فصل النون عن (لا) في هذا الموضوع كما اطردت في المواضع التي تقدمت.

الموضع العاشر:

﴿أَن لَّا يَدْخُلَنَّهَا ٱلْيَوْمَ عَلَيْكُم مِّسْكِينٌ﴾ (القلم: ٢٤)

هذا هو الموضع العاشر والأخير، الذي اتفقت جميع المصاحف على فصل نون (أن) فيها عن (لا) وهي -هنا- نافية وليست ناهية، وفصل النون في الآية جار على قاعدة الفصل التي طبقناها في المواضع التسعة المتقدم ذكرها، ومن الميسور على القراء الكرام إدراك سر الفصل فيها: وهو توكيد المعنى الواقع في حيزها، بيد أن المقام في حاجة إلى شيء من النظر، في تحديد المعنى الذي قصد توكيده في هذا الموضع.

إن هذا التوكيد أداة كاشفة عن مشاعر أصحاب الجنة (الحديقة المثمرة) الذين وردت هذه الآية في سياق الحديث عنهم، هم الوارد ذكرهم في قوله تعالى:

﴿ إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ ﴾

(القلم: ١٧)

هم أبناء رجل صالح، كان يوم يجني ثمار حديقته يجتمع بها لفيف من المساكين فيجزل لهم العطاء، فلما مات عزم أبناؤه أن يجنوا ثمار حديقتهم ليلًا والمساكين نائمون، حتى لا يعطوهم من ثمارها شيئًا، فأحرقها الله قبل أن يجنوها تأديبًا لهم وحرمانًا من خيراتها؛ لأنهم كانوا شديدي البخل، شديدي الحرص على المال[٢٤].

والمعنى الذي كشف عنه هذا التوكيد، الحاصل بفصل نون (أن) عن (لا): هو شدة حرص أصحاب الجنة على الاستئثار بثمار الجنة جميعها، وحرمان المساكين منها.

هذا المعنى - بالتحديد الدقيق- هو الذي كشف عنه القرآن بالرمز اللطيف الذي بيناه مرات من قبل، وهو فصل نون (أن) عن (لا).

يريد القرآن أن يقول:

إن أصحاب الجنة عزموا عزمًا أكيدًا، وأصروا إصرارًا عنيدًا على حرمان الفقراء والمساكين من ثمار حديقتهم، ولم يكونوا هازلين فيما قالوا، مخالفين بذلك سيرة أبيهم الرجل الصالح، الذي كان كثير العطاء للمحرومين، شكرًا لله على نعمه.

---

(٢٤) انظر قصة أصحاب الجنة كاملة في تفسير سورة القلم في كتب التفسير المطولة.

فهذا الفصل في المواضع العشرة، الذي جاء على خلاف الأصل لم يجئ اعتباطاً خاليًا من الدلالة -حاشا لله- وإنما نوع من البيان القرآني المعجز في مفرداته، وفي جمله وتراكيبه، وفي معانيه، وفي خصوصيات رسم بعض الكلمات فيه، ومنها (أن) هذه التي فصلت نونها عن (لا) التي بعدها في هذه المواضع العشرة التي سعدنا بالحديث عنها في الصحائف الماضية، والقرآن كتاب لا تنقضي عجائبه، ولا ينضب معينه، ولا تجف روافده حتى يرث الله الكون ومن فيه وما فيه.

(لكيلا - لكي لا)

الناظر في المصحف الشريف بوعي وتأمل، يلاحظ أن (لكي لا) وهي من نواصب المضارع إذا اقترنت باللام قبلها أو بعدها، اختلف رسم حروفها، فأحيانًا تراها وسط اللامين، وهما موصولان بها في الخط هكذا: (لكيلا).

وأحيانًا ترى اللام الثانية مفصولة عنها في الخط هكذا (لكي لا).

وحاشا أن يكون هذا الاختلاف اعتباطًا خاليًا من الدلالة على معنى لطيف؛ بل له معنى دقيق يشع منه، ومن غاب عنه هذا المعنى عَجِل وقال: إن رسم المصحف لا يقاس عليه، ولا يبحث فيه عن معنى؟

وهذا قول شنيع لا يليق بكتاب الله -عز وجل-.

والأصل في رسم هذه الكلمة في القرآن الكريم هو الفصل

بين (كي) و (اللام) التي بعدها ، أما اللام التي قبلها فتوصل بها دائمًا ، لذلك كان المفصول هو الأكثر لأنه -كما قلنا- الأصل .

أما الموصول فلم يتجاوز ثلاث مرات في القرآن كله .

والسبب في وصل ما وصل منها ، وفصل ما فصل منها ، هو النظر في معنى (اللام) التي بعدها .

ومعلوم أن :

-اللام الأولى في (لكيلا) تعليلية ناصبة للمضارع إذا انفردت عن (كي) أو وصلت بها .

- أما اللام الثانية فهي نافية لما يقع بعدها، ومعنى (النفي) في هذه اللام يأتي على نوعين :

الأول : أن يكون نفيا كليا عاما .

الثاني : أن يكون نفيًا جزئيًا خاصا .

فإذا كان معنى النفي بـ(لا) كليا عامًا، وصلت اللام بـ(كي) ، أما إذ كان معنى النفي جزئيا خاصا ، فصلت اللام عن (كي) .

هذا هو السر في وصل ما وصل، وفصل ما فُصل، والتطبيقات الآتية تؤكد هذا وتوضحه .

أولا: الموصول:

الموضع الأول :

﴿وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ لِكَيۡلَا يَعۡلَمَ مِنۢ بَعۡدِ عِلۡمٖ شَيۡـٔٗاۚ﴾ (الحج : ٥)

دقة التأمل في هذه الآية تريك أن معنى (لا) النافية الموصولة بـ(كي) معنى كليّ عام بدليل تنكير (شيئا) الواقع مفعولا به، لأن المراد من التفكير في (شيئًا) هو الاستغراق والعموم.

ومعلوم أن نفي الكلى يستلزم عقلا وواقعا نفيَ كل فرد من أفراده، ودلالة التنكير في هذه الآية مثل دلالة التنكير في مثل قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾

لأن جميع الأشياء خاضعة لقدرة الله -عز وجل- وللدلالة على (كلية النفي وعمومه) وصلت (لا) النافية بـ(كي) في الآية المتقدم ذكرها.

الموضع الثاني:

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِىٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾

(الأحزاب: ٥٠)

هذه الآية تتعلق بزواج النبي ﷺ من زينب بنت جحش، بعد أن طلقها مولاه (زيد بن حارثة)، وكان يطلق عليه ابنه بالتبني، وكان المؤمنون قبل هذا الزواج يعتبرون زوجات أبنائهم بالتبني محرمات عليهم كزوجات أبنائهم من أصلابهم، فأبطل الإسلام هذا السلوك بزواج النبي ﷺ من

زينب، التي كان (زيد) مولى رسول الله ﷺ زوجًا لها ثم طلقها.

وبعد زواج النبي منها اقتدى الصحابة بالرسول، فلم يعودوا يعتبرون زوجات أبنائهم بالتنبي مثل زوجات أبنائهم من أصلابهم.

ووصلت (لا) النافية في الآية بـ(كي) للدلالة على عموم النفي واستغراقه لأن الرسول ﷺ في أول الأمر استشعر حرجا من زواجه بزينب حتى إن الله -عز وجل- عاتبه على ذلك الشعور، والدليل على عموم النفي في قوله تعالى لرسوله الكريم: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾في سياق الكلام تم تنكير (حرج).

الموضع الثالث:

﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد: ٢٢، ٢٣)

الآية تعليل لما ورد في الآية الثانية: ومعناها أن الأمور كلها بيد الله فيجب التسليم بالقضاء والقدر، وفي هذا إزالة لأسباب التحسر والندم على ما فاتنا من خير، وإذا أنعم الله علينا بفضله فلا ينبغي أن يخرجنا ذلك عن حالة الاعتدال والاتزان.

وإذا تأملت الآية الثانية وجدت المنفي بـ(لا) هو السخط والتحسر في الابتلاءات والمصائب، والفخر المخرج عن الاعتدال في ظل ما ينعم به علينا من نعم.

ووجدت -كذلك- (النفس) كلا عاما، بمعنى أن الله لن يأذن بممارسة شيء مما كرهه لنا، ولهذا العموم جاء وصل (اللام) بـ(كي) للدلالة على ذلك العموم الشامل لجميع أنواع الأسى والحزن، والافتخار والفرح المخرج عن حد الوقار.

تلك هي المواضع الثلاثة التي جاءت فيها اللام النافية موصولة بـ(كي) رمزا لطيفا على ذلك المعنى اللطيف (وهو: العموم والشمول).

ثانيا: المفصول:

المفصول في هذا المقام على النقيض من الموصول، لأن الموصول يدل على عموم النفي -كما تقدم، أما المفصول فيدل على خصوص النفي المستفاد من (لا) المفصولة عن (كي).

١- ومن أمثلة ذلك في المصحف الشريف قوله تعالى:
﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗاۚ﴾

(الأحزاب: ٣٧)

فصلت اللام عن (كي) لأن المراد منها نفي خاص لا عام.

وإذا قارنا بين قوله تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ﴾ الذي تقدم الحديث عنه، وبين قوله عز وجل: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾

وجدنا الثاني مخصصًا بوصفين:

الأول: ﴿فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ﴾

والثاني: ﴿إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾

وهذان الوصفان (قيدان) أخرجا (الحرج) من العموم إلى الخصوص، لذلك فصلت اللام عن (كي).

٢- وكذلك قوله تعالى:

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ﴾ (النحل: ٧٠)

لك أن تتساءل وتلح في السؤال: لماذا فصلت اللام عن (كي) ولم توصل كما وصلت في نظيره السابق:

﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾

لأن الظاهر أنهما بمعنى واحد، وألفاظ واحدة؟

والجواب:

إذا دققت النظر في الآيتين وجدت بينهما فرقا واضحًا من حيث اللفظ:

فآية الحج فيها زيادة كلمة عن آية النحل، تلك الكلمة هي حرف الجر (من) هكذا: ﴿لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ هذا في سورة الحج.

أما آية النحل فلم يرد فيها حرف الجر (من) هكذا: ﴿لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا﴾ ومجيء حرف الجر (من) في آية (الحج) له دلالة متفق عليها عند اللغويين والبلاغين والمفسرين، وتلك الدلالة هي العموم الكلي أو (الاستغراق) وهو شمول عموم الأفراد، بحيث لا يستثنى أي فرد من أفراد الجنس، كما في قوله تعالى:

﴿وَمَا مِن دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ (هود: ٦)

والمراد من الدابة في الآية كل ما دب على وجه الأرض من عظيم أو حقير، كبير أو صغير، مشاهد أو غير مشاهد، والأصل أن يقال: وما دابة في الأرض فزيدت (من) قبل (دابة) للدلالة على المعنى الذي بيناه، وهو شمول جميع أنواع الدواب.

ولو قيل: وما دابة في الأرض، لاحتمل هذا القول خروج بعض الدواب عن الحكم الوارد بعدها، إذا تقرر هذا نقول:

إن مجيء (من) في آية الحج يفيد أن الذي بلغ أرذل العمر لم يعد يتذكر شيئا مما كان يعلمه، حتى اسمه ينساه، ويكون المعنى حينئذ أنه نسي كل شيء، فالنفي هنا عام كلي، ففصلت من أجل الدلالة على هذا المعنى.

وإن خلو التركيب من (من) في آية (النحل) يدل على أن الذي بلغ أرذل العمر في الآية غابت عنه أكثر الأشياء لا كل الأشياء، فهو ما يزال يذكر شيئًا أو أشياء قليلة جدا منها،

وعلى هذا فإن النفي الواقع على (شيئا) فيها ليس كليا عاما، ولذلك فصلت اللام عن (كي) في هذه الآية الكريمة، لأن المنفي فيها أشياء مخصوصة لا عامة.

وعلى هذا.. فإن الآيتين تدلان على ما هو في الواقع المعروف وهو أن الذين يبلغون أرذل العمر نوعان:

- نوع محيت ذاكرته تمامًا، فلم يعد يذكر مما كان يعلم شيئًا قط.

- ونوع بقي في ذاكرته شيء ما أو بعض أشياء ثم غاب عنه ما عداها.

وهذ من الواقع المشاهد في دنيا الناس، وكون الآيتين فيهما دلالة على هذا المعنى فإن ذلك من وجوه الإعجاز القرآني الذي لا تنقضي عجائبه، ولا تجف ينابيعه مهما طال العهد.

ومحال أن يكون مجيء حرف الجر (من) في إحدى الآيتين، وتركه في الثانية ليس لهما معنى.. ذلك ظن الذين غفلوا عن فقه معاني التنزيل الحكيم.

(فإن لم - فإلم)

هاتان العبارتان وردتا في الرسم العثماني الشريف، في العبارة الأولى ظهرت نون (أن) الشرطية.

وفي العبارة الثانية أخفيت هذه (النون) ولم تظهر في الخط -الرسم-.

ومحال أن يكون إظهار ما أظهر وإخفاء ما أخفي عبثًا لا معنى له ولا أسباب ؛ لأن كل ما في المصحف الشريف كان لحكمة، وضد الحكمة (السفه) وكتاب الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

فما هو السر فعلا في هذا الاختلاف بين رسم هاتين العبارتين ؟ نذكر أولًا الآيتين اللتين ورد فيهما هذا الاختلاف :

- الآية الأولى هي قوله تعالى :

﴿ فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴾

(القصص : ٥٠)

جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى :

﴿ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَـٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴾

(القصص : ٤٩)

- الآية الثانية هي قوله تعالى :

﴿ فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَكُمْ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلْمِ ٱللَّهِ وَأَن لَّآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾

(هود : ١٤)

جاءت هذه الآية عقب قوله تعالى :

﴿أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ قُلۡ فَأۡتُواْ بِعَشۡرِ سُوَرٖ مِّثۡلِهِۦ مُفۡتَرَيَٰتٖ وَٱدۡعُواْ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾

(هود: ١٣)

قف قليلا أمام الآيتين تجد المقام الذي وردتا فيه واحدا:

ففي آية (القصص) كانت الآية للرد على المشركين في طعنهم في التوراة والقرآن الكريم، وفي آية (هود) كانت الآية ردا عليهم في الطعن في القرآن الكريم بأنه مفترى وليس من عند الله، وفي (القصص) أمر الله رسوله أن يقول لهم: ائتوا بكتاب آخر من عند الله أهدى من التوراة والقرآن ولكم عليّ اتباعه إن كنتم صادقين وفي (هود) أمر الله رسوله أن يقول لهم ائتوا بعشر سور مثله مفتريات واستعينوا بمن شئتم من دون الله إن كنتم صادقين.

وفي كلتا الآيتين ورد فعل الأمر (ائتوا) مرادا منهم الإفحام والتعجيز للخصم ومع هذا التشابه الكبير في سياق الكلام ومقامه والتماثل التام بين (فإن لم) و(فإلم) ترى نون (إن) أظهرت في الأولى خطا، وأخفيت في الثانية فما هو السر في ذلك؟

إن المقارنة بين الآيتين تكشف لنا بكل وضوح عن سبب هذا الاختلاف، وذلك بالنظر فيما بعد (إن) أي جواب الشرط الواقع بعدها، فهو -أعني جواب الشرط- في الأولى هو: ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهۡوَآءَهُمۡ﴾ وفي الثانية: ﴿فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أُنزِلَ بِعِلۡمِ ٱللَّهِ﴾.

فالأول، وهو اتباع الأهواء، أمر سفلي محسوس مشاهد في سلوك المتحدث عنهم وأخلاقهم الوضيعة.

والثاني: وهو الإِنزال بعلم الله أمر علوي شريف، غيبي غير مشاهد بالعين الباصرة فأظهرت (النون) مع الأمر السفلي المكشوف الظاهر، وأخفيت (النون) مع الأمر الغيبي غير المدرك بالأبصار.

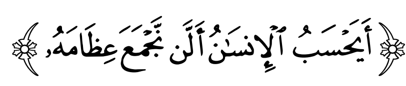
وفي هذا تناسب حكيم بين إظهار (النون) مع الأول، وإخفائه مع الثاني وهكذا قد تجلى لنا السر اللطيف في اختلاف الرسم القرآني الذي يزعم قوم أنه مجرد اختلاف خال من الدلالة، عار من الإِفادة، هدانا الله وإياهم لفقه معاني هذا الإِعجاز المفحم، الذي أنزل بعلم الله، لا بعلم سواه.

(أن لن - ألَّن)

ومن ذلك مجيء نون (أن) الناصبة للفعل المضارع ظاهرًا مع (لن) حينا وخافيا معها حينا آخر هكذا:

(أن لن – ألَّن) والفصل والإِظهار هو الأصل، لذلك فإِن كل ما في القرآن من هذا النوع مفصول هكذا (أن لن) إلا موضعين خولف فيهما هذا الأصل فجاءت (نون) (أن) مخفية لا ظاهرة، ونذكر أولا هذين الموضعين:

الأول:



(القيامة: ٣)

الثاني :

﴿ بَلۡ زَعَمۡتُمۡ أَلَّن نَّجۡعَلَ لَكُم مَّوۡعِدٗا ﴾

(الكهف : ٤٨)

أما من أمثلة الإظهار والفصل ، فمنهما قوله تعالى :

﴿ زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴾

(التغابن : ٧)

وقوله تعالى :

﴿ وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ﴾

(الجن : ٧)

قارن بين الآيات الأربع تجد النون في الأوليين لا وجود لها في الخط ، وتجدها في الثالثة والرابعة لها صورة في الخط ، ولكل من الإظهار والإخفاء فيهما سبب ، وله معنى دل عليه ، وإليك البيان :

في الآيتين الأوليين اللتين تحكيان ما قاله الكفار ، تجد : فعلا ادعوه هم ونسبوه إلى الله –عز وجل– .

ففي الآية الأولى منهما : نسبوا جمع العظام منفيا إلى الله ، مستبعدين قدرة الله عليه سبحانه وتعالى عما يقولون علوًا كبيرًا .

وفي الثانية منهما : نسبوا الموعد منفيًا كذلك إلى الله ، والموعد هو البعث أي : أن الله –على زعمهم– لم يجعل يومًا يبعث فيه الأموات للحساب .

والخلاصة أن المشـــركين في هاتيـــن الآيتين يتحدثون عن الله لا عن أنفسهم، وهذا الحديث كاذب كما ترى، ومع كذبه هذا أكدوه بـ (أن) المخففة من الثقيلة فعمد الرســم القرآني إلى حرف التوكيد الكاذب في الخط، هدمًا لما أرادوه منه من التوكيد.

وهذا هو الســبب في هذا الإخفاء، رمز به إلى معنى لطيف هو تكذيبهم فيما ادعوا. أما في الآيتين الأخريين فظهر (النون) كمــا رأيت، مــع أن دعواهم فيــه كاذبة وقد أشــار القرآن إلى كــذب دعواهم في آية (التغابــن) بقوله: ﴿قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ﴾ كما أشــار إليه في آية (القيامة) بقوله: ﴿بَلَىٰ قَٰدِرِينَ عَلَىٰٓ أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُۥ ﴾ وتسويه البنان (نقش الأصابع والكف) أعقد من جمع العظام.

أما إظهار (النون) مع كذب الدعوى في الآيتين، فلأنهم يتحدثون عن أنفسهم لا عن الله -عز وجل- فهم الذين زعموا أنهم لم يبعثوا، والظن في آية (الجن): ﴿وَأَنَّهُمۡ ظَنُّواْ كَمَا ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَبۡعَثَ ٱللَّهُ أَحَدٗا ﴾هو ظنهم هم، وهم فاعلوه وليس الله -عز وجل- لذلك أظهرت (النون) ولم تدع حاجة إلى إخفائها؛ لأنهم قد سول الشيطان لهم صدق ما يقولون ويتوهمون، وهم يعتقدون أنهم صادقون.

كلمة أخيرة

بعد هذه الأشواط الطويلة التي سرناها مع لطائف وأسرار خصوصيات الرسم العثماني للمصحف الشريف نشعر بأمرين:

١- الأول: أننا قدمنا قدرًا صالحًا من دراسة هذه الخصوصيات والأسرار التي تدل عليها، ثم دواعي ومقتضيات هذه الخصوصيات.

٢- الثاني: أننا سددنا الطريق أمام الدعوة إلى إعادة كتابة (المصحف الشريف) على منهج الخط الإملائي الحديث، بحجة واهية ذكروها هي: أن هذه الخصوصيات للرسم تخلو من الدلالة، وأنها لا معنى لها.

سددنا الطريق أمام هذه السخيفة، وكشفنا ما تنطوي عليه من غفلة وجهل وأبنّا أن كل خصوصية من خصائص رسم المصحف الشريف تدل على معان ولطائف لا يمكن فهمها إلا من تلك الخصوصيات، وعلى كثرة ما قدمنا من خلال هذه الدراسة المضنية، فإننا نعترف بأننا لم نستقص كل ما كان يمكن أن يُقال في هذا المجال، آملين أن يهيئ الله باحثين آخرين يقطعون أشواطًا أخرى في الحديث عما لم نتحدث عنه، وقد علمنا أن بعض طلاب الماجستير والدكتوراه

في الأزهر ودار العلوم سجلوا موضوعات أكاديمية حول خصوصيات الرسم القرآني، والمعاني التي تدل عليها، وقد أثلج هذا الاتجاه صدورنا، ونتمنى لهؤلاء الباحثين السداد والتوفيق من الله، والحمد لله في الأولى والآخرة.

***

فهرس المحتويات

***